

الحرب الحجازية النجدية

١٩٢٤ - ١٩٢٥

د. فلاح الخثرش *

الملابس السابقة للحرب الحجازية النجدية :

يرجع الخلاف بين آل سعود في الرياض والأشراف في مكة الى زمن بعيد من ايام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الى الاصلاح ، التي تتلخص في العودة الى منهج السلف في التوحيد ، ونيل الخرافات ، والتي أزرها آل سعود فانتشرت في سائر انحاء الجزيرة العربية ، واصبحت البلدان الحجازية مهددة بالخطر السعودي في ذلك الوقت .

ومن جهة أخرى كان الحجاز خاضعا لحكم الأشراف الذي ينتهي نسبهم الى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ومن هنا اكتسبوا ذلك اللقب ، وكانوا يرون لانفسهم أكثر من ميزة : فهم أولا : ذوو نسب عال ، وهم ثانيا : يحكمون أشرف البقاع التي يقدها المسلمون جميعا (مكة والمدينة) (١) ، وهم ثالثا : أهل غزو ، فكان من الطبيعي ان يقوم بينهم وبين آل سعود ما وقع من الخلاف بسبب الدعوة الدينية أولا ، والنزاع على السيادة وإمارة المدينتين المقدستين ، وبخاصة بعد الذي مارسه الأشراف من التحكم والتسلط ، فقد كانوا يعتبرون انفسهم اصحاب البيت يأذنون لمن شاءوا ويحجبون من ارادوا ، وطالما منعوا أهل نجد من الحج ، مما سبب مشاكل كثيرة بين الطرفين .

* - مدرسة التاريخ الحديث (الخليج العربي) بقسم التاريخ - جامعة الكويت .

- حصلت على الدكتوراة من جامعة الكويت عام ١٩٧٥ .

صدر لها :

- تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٩٨٠ - ١٩٢١ . منشورات ذات السلاسل ، الطبعة الاولى ، الكويت ، ١٩٧٤ .

- نشوء قطر وتطورها . منشورات ذات السلاسل ، الطبعة الاولى ، الكويت ، ١٩٧٧ .

- مصادر تاريخ قطر ١٨٦٨ - ١٩١٦ ، منشورات ذات السلاسل - الطبعة الاولى ، الكويت ، ١٩٧٩ .

وفي عام (١٨٠٣) احتل سعود الكبير الحجاز ، وفي طريقه اجتث واهتي تربة وخرمة ، وبعد أيام دخل مكة وأمن أهلها . وظلت الحجاز تحت الحكم السعودي الى عام ١٨١٥ ، وما زال الخلاف يشتد بين الاشراف وآل سعود حتى تولى الشريف حسين حكم الحجاز عام ١٩٠٨ فاستبشر العرب بعهد جديد (٢) ، كان الشريف حسين يعرف بشريف مكة الاعظم ، وهو لقب تخلعه الخلافة التركية ، وكان حتى قبل هذه الولاية بعدة سنين يتحين الفرصة للقضاء على ابن سعود امير نجد ، اذ كان يعتبره — وصدق في ذلك — المنافس الكبير في هذه المنطقة ، ولقد اتصل بالاتراك ، وقام بنفسه بمحاولة احتلال نجد ، فقد خطط الشريف حسين منذ اللحظة الاولى للانقضاض على نجد واحتلالها ، ومهد لذلك بالاستعانة بتأييد الترك ، وشجعه على المضي في هذه الخطة انضمام قبيلة عتيبة الى الحجاز ، وبالفعل خرج الشريف الى نجد عام ١٩١٢ ووصل الى القويعة في الوقت الذي كان فيه سعد بن عبد الرحمن في تلك النواحي (٣) ودارت معركة هناك انتصر فيها الشريف حسين ، وقبض على الامير سعد اسيرا ، واتخذ منه أداة لانزاع نجد وفدية مقدارها (٦٠٠٠) ستة الاف جنيه مجيدي ، وقبوله الاعتراف بالسيادة العثمانية ، ودفع جزية اسمية عن ادارته منطقة القصيم واضطر ابن سعود ان يوقع صك الفداء ، ولكن لم ينفذ منه شيئا .

وكانت الضربة العكسية التي رد بها ابن سعود تلك الهجمة ، ان احتل في عام ١٩١٣ اقليم الاحساء ، وقد قوى ذلك من موقفه كثيرا ، فأعلن نفسه سلطانا على نجد وتوابعها ، كما انه ايضا رد على تأييد الاتراك للشريف فطردهم من الاحساء ، ولم يكتف بذلك ، فقد رأى من الافضل له ان يتصل بالحكومة البريطانية ويعيد الكرة من جديد ، اذ سبق له ان اتصل بالحكومة البريطانية عن طريق الوكيل السياسي في البحرين السير بيرسي كوكس عام ١٩٠٦ الا انها ردت .

وبالفعل عاود محاولته ، وطلب المعونة ، ولكن الحكومة البريطانية اخبرته انها لا تستطيع ان تتدخل ، وان عليه — أي ابن سعود — تدبير شؤنه (٤) . وكان هذا مخيبا للأمال بلا شك ، ولكنه — وهو الذي يتمتع بقدر كبير من الذكاء — أخذ هذا التصريح شبه الرسمي مأخذ الجد ، واعتبره الرد الوحيد على طلبه ، وبدأ بالفعل يمارس « تدبير شؤنه بنفسه » حيث أصبح حرا في تفقد شئون اعماله ومصالحه الداخلية . فتمكن من توجيه اتهاماته الى خصمه الآخر ابن الرشيد أمير حائل وقبيلة شمر الذين اشتبهوا بعدائهم المستحكم لاهل نجد ، والذين كانوا ينحازون الى جانب الاتراك ، وأخذ يعد العدة لقتالهم .

غير أن ابن سعود استطاع نشر سلطته على معظم شبه الجزيرة العربية ،

وذلك بفضل قوة الاخوان التي تمثل قوة عسكرية ساعدته في بناء مملكته من جديد ، والاخوان هم جماعة من القبائل البدوية استطاع ابن سعود توطئتها في الواحات ، وقد شملت عملية توطئ البدو نحو الثلث من القبائل البدوية ، وبهذه القوة استطاع ابن سعود ان يبن ي قوته ويوسع نفوذه ، وقد طوق مركز الاتراك في الشرق ، حين اخضع القبائل وجعلها تحت سيطرته عام ١٩١٣ ، وعزل الحاميات التركية في بعض المراكز التي اسسوها .

وازدادت قوة ابن سعود ، لدرجة انه كان في استطاعته الهجوم على الاتراك في اقليم الاحساء بدون مساعدة الانجليز ، الذين رفضوا طلبه في عام ١٩٠٦ (٥) . وفي شهر مايو ١٩١٣ احتل ابن سعود الهفوف والقطيف والعقير ، ولكن وصلت الحماية التركية في الاحساء امدادات من البحرين ، مما جعل ابن سعود يعترض على الحكومة الانجليزية ، لانها جعلت البحرين قاعدة تركية لحشد قواتها تمهيدا لمهاجمته ، فأرسل رسالة بهذا الخصوص الى السير بيرسي كوكس ، وطلب منه ان يشرح له موقف حكومته تجاهه ، حتى يستطيع ان يختار الطريق الاصلح لحماية مصالحه (٦) .

وقد تدخل الانجليز في الامر ، ومنعوا الاتراك من الهجوم على الاحساء ، ويعتبر استرداد اقليم الاحساء نقطة تحول في سياسة ابن سعود واحتكاكه بالانجليز ، وفي ١٥ مايو عام ١٩١٤ وقع ابن سعود معاهدة مع الاتراك ، وهي اول معاهدة قامت بين ابن سعود والدولة العثمانية ، اعترف فيها الاتراك بأن الاحساء جزء من نجد ، وبأن ابن سعود حاكم على الاقليمين ، وتخلوا له عن الاسلحة التي خلفوها في الهفوف ، وتعهدوا بعدم التدخل في شئونه ، وفي مقابل ذلك وافق ابن سعود على الاعتراف بسيادة رمزية للاتراك (٧) . من هنا نستطيع القول ان اهم حادثتين كان لهما أكبر الاثر في حياة ابن سعود السياسية هما : استرداد الاحساء من الاتراك عام ١٩١٣ ، والمعاهدة التي وقعها معهم عام ١٩١٤ ، فقد تمكن عن طريقهما من بسط سلطانه على اوسع رقعة ممكنة ، لانه اعلن نفسه سلطانا على نجد وتوابعها ، وكذلك بسط سلطانه حتى شواطئ الخليج العربي حيث دخل في علاقات مع الحكومة البريطانية التي كانت تحرص على السلام فوق مياه الخليج طوال المائة سنة الماضية .

في اللحظة التي انتزع فيها السلطان ابن سعود الاحساء من الاتراك كانت بريطانيا تتفاوض مع تركيا من اجل اتفاقية وقعت في ٢٩ من يوليو ١٩١٣ ، حيث تقاسمت تركيا وبريطانيا شبه جزيرة العرب سواء في الداخل او في الخارج ، اي من ناحية السواحل ، واصبحت المناطق التي استولى عليها ابن سعود خاضعة للنفوذ العثماني بحكم هذه الاتفاقية (٨) مما جعل موقف الحكومة البريطانية

حرجا تجاه السلطان ابن سعود ، الا ان قيام الحرب العالمية الاولى انقذ بريطانيا من هذه الورطة ، اذ دخلت تركيا ضد بريطانيا واعلنت الجهاد في المنطقة العربية ضد الانجليز ، فعملت الحكومة البريطانية على تثبيت اقدامها بالمنطقة ، وحتى يكون لها وجود شبه شرعي ربطت حكامها رسميا بمعاهدات لتضمن موقفهم منها ، فسعت الى شيخ الكويت مبارك وعقدت معه معاهدة عام ١٩١٤ ، وكذلك اتصلت بابن سعود تعرض عليه فكرة الانضمام الى صفوفها ، الا انه في اول الامر عارض فكرة الانضمام الى بريطانيا خوفا من معارضة الاخوان .

وظل عبد العزيز محايدا بين الطرفين : لم يحارب الحسين شريف الحجاز كما طلب منه الاتراك ، ولم يشترك في محاربة الاتراك في العراق كما طلب منه الانجليز ، بل تمهل قبل ان يعلن موقفه . ولكن الامور سارت على عكس ما كان يتوقعه ، اذا احتلت القوات الانجليزية البصرة ، حيث اعلنت الحكومة البريطانية انها سوف تحقق احلام العرب في التحرر والاستقلال من الحكم التركي واقامة الدولة العربية الاسلامية الجديدة .

وهناك عامل آخر شجع ابن سعود على الانضمام الى الحلفاء ، وهو بذل الحكومة العثمانية المال والاسلحة لابن الرشيد عدوه اللدود ، وتحريضه على محاربة ابن سعود ، فطلب ابن سعود من بريطانيا ان تبعث مندوبا من جانبها الى الرياض في اوائل ١٩١٥/١٣٣٣ هـ وقد رحبت بريطانيا بهذه السياسة التي تدعو الى التقارب مع ابن سعود بعد ان دخل الاتراك الحرب ضدها بجانب الالمان . وخشيت الحكومة البريطانية على طرق مواصلاتها الى الهند ، وباتت الحكومة البريطانية حريصة تمام الحرص على ان تكسب الى جانبها حلفاء جددا في شبه الجزيرة العربية وبخاصة ابن سعود . وعلى هذا الاساس ارسلت الكابتن شكسبير (المقيم الانجليزي في الكويت) والذي يعتبر اول ممثل بريطاني في بلاط عبد العزيز بن سعود ، وقد استقبله ابن سعود بالترحاب وكانت نتيجة المفاوضات ان طلب شكسبير من ابن سعود بالحاج اعلان الحرب على الاتراك ، ولكن ابن سعود لم يفته ما ينطوي عليه اعلان الحرب هذا من مغامرة ، ولم يشأ الوقوع في هذا الخطأ ، فرفض الانجراف في هذا التيار ، وقدم اقتراحا لمؤازرة القضية الانجليزية بصورة غير مباشرة بالزحف على الحجاز وطرده الشريف حسين حليف الاتراك ، فأوضح له شكسبير بلهجة جافة استحالة تحقيق هذه الفكرة ، وأوعز الى ابن سعود بالعدول عنها ، وطالت المباحثات عدة اسابيع دون التوصل الى نتيجة ، فقد اصم ابن سعود اذنيه عن تحريض الانجليز ، واما شكسبير فقد تظاهر بأنه لم يفهم ما يرمي اليه ابن سعود (٩) ولكن قبل ان يحقق هذه الاتفاقية قتل الكابتن شكسبير في معركة جراب التي

نشبت بين ابن سعود وابن الرشيد في اوائل عام ١٩١٥ (١٠) ونتيجة لمقتل شكسبير تعطل ابرام الاتفاقية بين الطرفين بضعة اشهر . وفي اوائل ديسمبر ١٩١٥ توجه ابن سعود الى دارين بالقرب من القطيف ، حيث التقى بالسير برسي كوكس (١١) ووقع معه اتفاقية ٢٦ من ديسمبر ١٩١٥ ، وصدق عليها في ١٨ من يوليو ١٩١٦ ، وفي هذه المعاهدة اعترفت الحكومة البريطانية بأن نجدا والاحساء والقطيف وجبيل وما لهذه المناطق من مواني على ساحل الخليج العربي من ممتلكات ابن سعود وورثته ، وكذلك اعترفت بابن سعود حاكما مستقلا لقبائل هذه المنطقة ، وتعهدت له بالوقوف معه ضد اي تدخل او اعتداء خارجي ، وكذلك تعهد الانجليز ألا تكون هذه المناطق موضع بحث عند تقسيم الامبراطورية العثمانية ، وبأن يدفعوا له معونة شهرية قدرها خمسة الاف جنيه استرليني ، وان يقدموا له الاسلحة ، وان يهبوا لمساعدته اذا تعرض لاي خطر . وفي مقابل ذلك تعهد ابن سعود ألا يتخلى او يرهن او يبيع اي امتياز لاي دولة اجنبية الا بموافقة الحكومة البريطانية وكذلك تعهد ابن سعود تعهدا قاطعا ألا يهاجم حلفاءها أو يساعد اعداءها ، ولكنه لم يلزم نفسه بالاشتراك فعليا في العمليات العسكرية (١٢) وهكذا ساعدت هذه الاتفاقية ابن سعود على التخلص من الخطر العثماني ، كما ضمن وقوف الحكومة البريطانية بجانبه عندما يهدده اي خطر خارجي ، وبخاصة من جانب ابن الرشيد الذي كان لايزال يهدد مناطق نفوذه ، بمساعدة الحكومة العثمانية .

ولما انتهت الحرب العالمية الاولى ، كان على ابن سعود ان يستأنف القتال لتحقيق هدفه ، وقد وجد نفسه محاطا بالخطر من جاتين ، اولهما خطر ابن الرشيد الذي استفاد من وقوفه الى جانب الاتراك في الحصول على السلاح والمال ، وقد استطاع التخلص منه بعد ان انتهز فرصة الانقسامات الداخلية التي حلت بأسرة ابن الرشيد ، بعد مقتل زعيمها الامير عبد العزيز بن متعب في معركة الروضة التي وقعت بين قوات ابن سعود وقوات ابن الرشيد (١٣) ، وقد انتهت هذه الانقسامات في العائلة الرشيدية الى نتيجتها الطبيعية التي كان ابن سعود ينتظرها ليحني ثمرتها ، فقد تفككت بالفعل اسرة ابن الرشيد ، ومن ثم قضى عليها ابن سعود وضم امارة شمر الى نجد ١٩٢١ ، وهكذا زال اول الخطرين المحدقين بابن سعود .

اما الخطر الثاني فهو خطر الشريف حسين الذي استفاد أيضا من انضمامه الى الانجليز خلال الحرب ، اذ حصل على الاسلحة والاموال بالاضافة الى تمتعه بالتأييد البريطاني ، حيث اتخذ لقب ملك الحجاز بعد أن كان قد خلع على نفسه لقب ملك العرب .

ويمكننا اعتبار اعلان الشريف حسين الثورة على الدولة العثمانية ، ثم

اعلان نفسه ملكا على البلاد العربية بمثابة خطر يهدد استقلال نجد ، مما اثار شكوك ابن سعود ، فاحتج لدى الحكومة البريطانية متعللا بأن هذا الاعلان يختلف تمام الاختلاف عن الوعود والمواثيق التي وعدته بها الحكومة الانجليزية .

ومما زاد الجفاء بين الشريف حسين وابن سعود ، انتشار الدعوة السلفية بين قبيلتي سبيع وعتيبة المواليين للشريف ، وهما اللتان شاركتا الشريف في فتح جدة والطائف وطردها الحاميات التركية منها ، ولقد احتج الشريف حسين على ذلك للحكومة البريطانية ، وعلى اثرها تدخلت الحكومة البريطانية للتوفيق بينهما ، وبناء على اقتراح المندوب السامي في مصر السير ريجنالد ونجت ، شكلت بعثة خبراء بريطانية في الشؤون العربية ، مهمتها القيام بمساع من شأنها احلال التفاهم والوفاق محل العنف والخلاف بين الشريف وابن سعود عن طريق الربط بين مساعي السلطات البريطانية في القاهرة المتصلة بالحسين ، وبين مساعي السلطات البريطانية في العراق المتصلة بمشاكل الخليج وشبه الجزيرة العربية ، ومرت البعثة بالرياض ، ثم وصلت جدة ، ولكن محادثاتها مع الحسين فشلت ، لانه كان يرفض الاعتراف بأي حق لابن سعود ، لا سيما دعواه الخاصة بملكية واحه الخرمة التي استنجد اهلها بابن سعود عندما غزتها القوات الحجازية .

وحين اخفقت هذه البعثة جهز الشريف حسين حملة لتأديب هذه القبائل ونجح في تحقيق غايته ، وقد اعتبر ابن سعود هذا التهديد موجها اليه وخاصة بعد أن استنجدت به هذه القبائل وطلبت منه المساعدة ، فاعد جيشا كبيرا بقيادة خالد بن لؤي امير خرمة وكان على خصام كبير مع الشريف حسين الذي طرده من اماره الطائف ، فانقض على قوات الحسين من كل جانب ، وفر الامير عبدالله قائد الجيش ناجيا بنفسه من فتك الاخوان ، وذعر الشريف من هذه الحادثة فاستنجد ببريطانيا مدعيا ان الامير الوهابي ابن سعود سوف يحتل الحجاز ويقضي على حكم الاشراف ، فما كان من الحكومة البريطانية الا ان اندرت ابن سعود ، وحذرت من التقدم في الاراضي الحجازية ، وذلك في ٤ من يونيو ١٩١٩ — ٦ من رمضان ١٣٣٧ هـ . (١٤) ونجح الانذار ، وأمر ابن سعود قواته بالرجوع الى الرياض بعد ان تمكنت من احتلال تربة والخرمة ، وذلك خوفا من اغصاب الحكومة البريطانية ، التي كان في حاجة الى مساندتها وخاصة في تلك الفترة .

اما الحكومة البريطانية فقد كانت تجهل ما حدث بين الطرفين حتى علمت به من طرف واحد هو الشريف حسين على نحو ما تقدم ، اذ كانت في تلك الفترة وثيقة الصلة به ، حيث وقف بجانبها ابان الحرب ، وكان تقدير الانجليز للشريف

حسين مختلفا عن تقديرهم لابن سعود ، حيث كان اتصال الشريف بهم عن طريق وزارة الخارجية في لندن راسا وبواسطة المكتب البريطاني في القاهرة ، بينما كان اتصال ابن سعود بهم عن طريق حكومة الهند ، شأنه في ذلك شأن المحميات البريطانية في الخليج العربي ، وكانت وزارة الخارجية بلندن تتجاهل ابن سعود لولا دفاع الدوائر المختصة في الهند عنه (١٥) .

ومما يثبت لنا ذلك ، ان الحكومة البريطانية سعت الى قطع المعونة المالية التي كانت تدفعها لابن سعود سنويا ، مع العلم بأنها كانت اقل بكثير من المبلغ الذي كانت تدفعه للحسين . الا ان حكومة الهند عملت على وقف هذا القرار على اساس التقارير التي ارسلها لها فيليب ممثل حكومة الهند لدى ابن سعود . فقد ذهب فيليب الى ان ابن سعود لم يقم بهذا العمل الا دفاعا عن نفسه ، وليضع حدا لتدخل الاشراف في شئونه ، فرأت الحكومة البريطانية ان تتوسط لدى الطرفين لاعادة السلام بينهما ، بعد ان كانت تظن ان الخلاف بينهما ذو طابع ديني مما جعلها لا ترغب في التدخل فيه الا اذا طلب اليها الطرفان ذلك (١٦) ثم ساد الهدوء الحدود النجدية الحجازية ، خلال عامي ١٩١٩ — ١٩٢٠/١٣٣٧ — ١٣٣٨ هـ وفي خلال هذه المدة تم تبادل الكتب الودية بين الطرفين ، ولكن ذلك لم يضع حدا للنزاع القائم بين قبائل الطرفين ، وذلك للخلافات الدينية بينهما ، مما ادى الى استئناف النزاع مرة اخرى . ومما زاد النفور بين الشريف وابن سعود ان الشريف منع اهل نجد من تأدية الحج ١٣٣٩/١٩٢١ هـ ، حتى جرت محادثات بين ابن سعود والحكومة البريطانية ، بهذا الصدد ، فوصلت الى حل يقضي بموافقة الشريف علي السماح لحجاج نجد بتأدية فريضتهم ، ولكن عن طريق البحر وبعدد محدود (١٧) .

ولقد استمر الحسين في تشديد الطلبات على ابن سعود حول مشكلة الحجاج ، وفي الوقت نفسه اختلف مع الحكومة البريطانية ، واتهما بالوقوف ضده وتشجيع خصمه ابن سعود ، وكانت رسائله التي بعثها للحكومة البريطانية شديدة اللهجة ، مما سبب ضيق الحكومة الانجليزية .

ويبدو ان هذه الرسائل ذات اللهجة الشديدة لم تكن كل السبب ، فان صدر السياسة اوسع بكثير جدا من الانفعالات التي قد تفسر كثيرا من مواقف الافراد ، ولكنها ليست وحدها كافية لتفسير السياسات ، فقد اضيفت الي هذه المواقف المتشددة من الشريف حسين امور اخرى جعلت السياسة الانجليزية تعيد وزن الموقف على ضوء التغير في قائمة الحسابات .

فبينما الشريف يزمر في رسائله غضبا اتصل ابن سعود — عن طريق

المندوب السامي بالعراق — بالحكومة الانجليزية ، يطلب اليها ان تبذل وساطتها الحميدة لدى الشريف حسين الذي بالغ في مواقفه وعناده الى حد يمكن وصفه بالسفه والمهاترة ، حين بدأ يمنع الحجاج من نجد ثم لما اذن لهم فقد اعطى اذنا مستحيل التنفيذ ، فانى لابن سعود ان يحدد عدد الحجاج وكيف يقول لشعبه حامل الدعوة السلفية : (لا تحج) .

وامر ثالث — يضاف لهذين ونعني بهما تصلب الشريف ، ولجوء ابن سعود للانجليز — هو الذي حول لسان الميزان قليلا من كفة الشريف الى كفة ابن سعود ، ذلك ان الحكومة البريطانية بدأت ترى بوضوح قيمة ابن سعود الحقيقية في الجزيرة العربية ، وهو الذي قضى على كل منافسيه في المنطقة ما عدا الشريف ، فضلا عن ذلك فهي مرتبطة معه بمعاهدة صداقة ، لهذا فانها استجابت لطلب ابن سعود وتدخلت في الامر جديا ، وطلبت من الشريف حسين ان يأذن للحجاج ويتفق مع ابن سعود على معاهدة مثل المعاهدة التي عقدها مع جاره الملك فيصل ملك العراق ، ولكن الحسين امتنع واشترط انه لن يسمح بدخول حجاج الى الحجاز في هذه السنة ١٩٢٣ ، الا اذا سلمت الجوف ورنية وبيشه وتربة الخرمة وكل بلد اغتصبها ابن سعود (١٨) .

من هنا نرى ان علاقة الشريف حسين بالحكومة الانجليزية قد ساءت وخاصة بعد ان امتنع عن حضور مؤتمر العقير والكويت اللذين عقدا باشراف الحكومة الانجليزية .

لهذا عينت الحكومة البريطانية الكولونيل كوكس — الوكيل السياسي الانجليزي في الكويت ليكون رئيسا للمؤتمر الذي عقد في الكويت ، وقد رفض الشريف حسين ان يرسل مندوبين الى ذلك المؤتمر ، وقد اتهم الرئيس بضغطه على ابن سعود بشأن اعطاء الخرمة لابن سعود فكان هذا سببا في فشل المؤتمر الذي انفض على غير جدوى في ابريل ١٩٢٤ (١٩) ، وكانت النتيجة التي ترتبت على انفضاض المؤتمر على هذه الصورة ان الحكومة البريطانية وثقت صداقتها بابن سعود وبدأت تبتعد عن الحسين ومشاكله .

اما بالنسبة لابن سعود فكانت نتائج مؤتمر الكويت سلبية مما جعله يتخذ خطوة اكثر ايجابية للحد من الحسين في الحجاز ، وكذلك شرق الاردن الذي يقف اميرها — عبد الله بن الحسين — الموقف المعادي لابن سعود .

الحرب الحجازية النجدية ٢٤ — ١٩٢٥ :

في خريف عام ١٩٢٤ قرر ابن سعود توجيه ضربة قاصمة للحسين ، وقد

تألفت مجموعة من العناصر في هذا الوقت بالذات تمكن لهذه الضربة بحساب الأرباح والخسائر ان تكون مضمونة الربح قليلة الخسائر ، واختيار هـذا التوقيت كان مناسباً لموجة عدم الارتياح من الادعاءات العريضة التي طمح اليها الحسين بغير حدود ، فقد اراد — او هكذا خيلت له نفسه — ان يملأ الفراغ الذي أحدثه الغاء الخلافة الاسلامية على يد كمال اتاتورك ، فنأدى بنفسه خليفة للإسلام وبخاصة ان تحت رعايته المدينتين المقدستين : مكة المكرمة حيث البيت العتيق وشعائر الحج ومناسكه ، والمدينة المنورة حيث المسجد النبوي الذي تعد زيارته والصلاة فيه من الامور الدينية المندوبة التي يتطلع لها كل مسلم في بقاع العالم ، وقد كان لهذا الاعلان صدى غير محبوب لدى مسلمي الهند وغيرهم .

وفي الحساب لهذه الضربة قدر ابن سعود ان الشريف لن يحظى بتأييد اسلامي على الاقل ، وأنه هو حين يهاجمه لن يواجه عمله باستنكار اسلامي ، وأما خسارة بريطانيا في هذه الاونة فلن تدخل في الحساب كثيرا اذ كانت بالفعل قد قطعت عنه معونتها المالية في ٣١ مارس ١٩٢٤ ، هذا بالنسبة للعالم الاسلامي وبريطانيا تقريبا ، فكيف كانت الاحداث تجري في الجزيرة العربية ؟ (٢٠)

في اوائل ابريل ١٩٢٤ وردت انباء بأن سلطان نجد قد أعاد التنظيمات العسكرية في كل انحاء اراضيه ، وفي الثاني من يونيو اصدر الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود بياناً للعالم الاسلامي والامة العربية ، لم يرفض فيه ادعاءات الشريف حسين للخلافة فقط لكنه تقدم بطلب بأن يحل محله في زعامة الحركة القومية العربية (٢١) .

وفي الرابع من يونيو حين صدور هذا البيان فتح مؤتمر رسمي في الرياض يضم القادة العسكريين من القبائل والعلماء والاخوان وعلى رأسهم والد السلطان ابن سعود الامام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود لمناقشة التماسات وردت من الاخوان من اجل القيام بحملة على الحجاز ولصالح الحج وخاصة بعد حوادث ١٨٢٣ التي جرت في الحجاز اثناء تأدية اهل نجد فريضة الحج حيث بلغ التوتر مداه بين اهل الحجاز واهل نجد مما ادى الى نشوب قتال دموي بينهم ، وعلى اثرها منع السلطان ابن سعود رعاياه من الذهاب الى الحج خشية نشوب قتال جديد يجري بين البلدين العربيين الواقعين تحت حماية بريطانيا ويؤدي الى نشوب حرب واسعة النطاق بينهما (٢٢) .

لهذا عندما عقد المؤتمر الاسلامي في الرياض اعلن اهل نجد والمناطق التابعة لها انهم لا يطيعون اوامر الحسين ومنعه لهم من تأدية فريضة الحج وانهم يدخلون مكة المكرمة بالقوة اذا منعهم الشريف حسين ، ورد السلطان ابن سعود

على اعضاء المؤتمر بأنه يستنكر الاعمال التي يقوم بها الحسين ازاء حجاج نجد وادعاءاته انه زعيم الحركة العربية وانه امير المؤمنين (٢٣) ، وقد علل ابن سعود في منعه لحجاج هذه السنة من تأدية فريضتهم بأنه ليس من الحكمة على اهل نجد ان يستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة بالقوة من الشريف حسين كما انه محرم عليهم ان يحاولوا هذا خاصة في موسم الحج الا كأوصياء على العالم الاسلامي حيث ان المدينتين المقدستين ملك لكل المسلمين .

وفي نهاية المؤتمر اتخذ اعضاء المؤتمر قرارا باطلاق يد السلطان ابن سعود في اتخاذ مايراه مناسباً من التدابير لصيانة حقوق نجد ودفع اذى خصومها واعدائها (٢٤) . وعندما قرأت لجنة الخلافة الهندية تقرير المؤتمر ارسلت على الفور لابن سعود رسالة اعلنوا فيها انهم يرون من الضروري مهاجمة الشريف واحتلال بلاده لاقامة سلام ووافق بين العرب في شبه الجزيرة العربية ولكي يكون التحالف العربي صلباً ، وقوة المجتمع الاسلامي قوة كبيرة . (٢٥)

ومن المشكوك فيه ما اذا كان هذا الخطاب قد وصل الى ابن سعود قبل بدء حملته في ٢٩ من اغسطس على الطائف ، ولكن لاشك في انه شجعه على ان يرفض أي صلح او يتفق على سلم حتى ينتهي حكم الشريف حسين واسرته في شبه الجزيرة العربية .

ولقد احكمت خطة ابن سعود للغزو ، فبينما تركز الجيش الرئيسي من القوة الوهابية في خرمة وتربه لتوجيه ضربة الى قلب اراضي الشريف حسين ، ارسلت في الوقت نفسه قوات استكشافية لقطع سكة حديد الحجاز شمال المدينة للاغارة على شرق الاردن والعراق ، كما ارسلت طوابير مدعمة الى قرية (المله) في وادي سرحان والى الجوف ، وهذه الحملات الشمالية لم يكن القصد منها على ما يبدو هو التغلغل في ارض العدو ، بل كان القصد منها عرقلة وصول العون من جانب عبد الله امير شرق الاردن والملك فيصل بن الحسين ملك العراق الى والدهما . (٢٦)

وفي الجبهة الرئيسية عبر الوهابيون الحدود في ٢٩ من اغسطس وهددوا الطائف في الحال وهي اعظم واحة في الحجاز حيث اعتاد وجهاء مكة المكرمة ان يقضوا الصيف فيها ، وقد وصلت الى مكان القتال قوة نظامية حجازية تحت قيادة الامير علي بن الحسين ، وعندما لم يتلق مساندة من قبائل الحجاز وضع حامية صغيرة في قلب الطائف ووزع السلاح على بعض سكان المدن والقبائل وسحب قوته الرئيسية الى (الهدى) على بعد عشرين ميلاً الى الشمال .

وعم الذعر والهلع في الطائف فقرر اهلها رفع العلم الابيض منادين بانهم

على الحياذ ولا شأن لهم في هذه الحرب ، ثم اتجهوا الى الحامية الحجازية وارغموها على التسليم تحت طائلة التهديد والقتل ، وفتحوا ابواب المدينة في الخامس من سبتمبر ١٩٢٤ . (٢٧)

وقد انقضت طليعة الاخوان على المدينة ، تحت قيادة خالد بن لؤي امير خرمة الذي اقترف اعمالا انتقامية ، لم يرض عنها القائد السعودي سلطان بن بجاد ، بل ما لبث ان عالج الجراح ، وان كانت المعركة قد فُعلت فعلها في اشاعة الهيبة ، وحيكت حولها الاقاصيص التي تجنح للمبالغة والتفخيم .

وفعلا كان سقوط الطائف قد اثار دهشة كبيرة لسكان الجزيرة العربية جميعا ، حتى ان الاخوان انفسهم دهشوا لسقوط المدينة بهذا الشكل وبهذه السرعة ، وقد كان قائد الحملة سلطان بن بجاد يقوم بتطهير الاحياء الخارجية من المدينة ، عندما وصلت اليه انباء سقوط الطائف . ومن العدل بالنسبة اليه ومن معه ان نقول بأنه عندما وصلت تلك الاخبار اسرعوا بالدخول الى المدينة ووضعوا حدا سريعا لاعمال الذبح والمجازر التي كانت ترتكب بداخلها ، ولكن حدث ذلك بعدما مضى من الوقت اربع وعشرون ساعة . ولقد اعلن ابن سعود آنذاك احتجاجه ضد اعمال العنف واراقة الدماء التي تمت هناك ، وتنصل من مسؤولية حدوث تلك الاعمال التي تورط في ارتكابها اتباعه المتحمسون ، وذلك في غياب زعيم مسؤول يتولى امرهم ويحكم شؤونهم .

هذا ما قام به الجانب السعودي ، فماذا فعل الشريف حسين ؟

استنجد الشريف حسين بالحكومة البريطانية عن طريق القنصل الانكليزي في جدة وطلب منها أن تهب لمساعدته ، وراح يسألها المشورة فيما يجب ان يفعله ازاء تلك الاعمال العدوانية الظاهرة ويتلمس الرد على تساؤله .

وفي الوقت نفسه ارسل الميجور بولارد — القنصل الانكليزي بجدة — الى حكومته بلندن برقية مستعجلة يشرح فيها الوضع القائم بجدة ويشير فيها الى أن السلطة في جدة سوف تنهار وأنه سوف تشيع الفوضى والاضطراب ، وان موقف السعوديين تجاه الاوروبيين غير معروف . وقد طلب من حكومته ان ترسل احدى البوارج الحربية لتكون على مقربة من ميناء جدة . (٢٨)

ثم جاءت اجابات الحكومة البريطانية . فقد تسلم الشريف حسين رسالة من الحكومة البريطانية تطمئنه ازاء الخطر السعودي ، وفي الوقت نفسه اعتذرت عن امداده بالمؤن والذخائر . (٢٩)

وبجانب هذا رأى وزير الخارجية البريطانية — مستر رامزي ماك دونالد —

ان من الافضل ان يطلب من قادة البحرية اصدار اوامره الفورية لاحدى البوارج لتشق طريقها عبر البحار وتصل الى جدة لكي تعمل على الحفاظ على سلامة الارواح والممتلكات الخاصة بالرعايا الاجانب التابعين للحكومة الانجليزية وبقية الحكومات الاوروبية الاخرى المقيمين في جدة . (٣٠)

وبالفعل وصلت البارجة كليماثس في يوم ١٠ من سبتمبر ١٩٢٤ ولقد ارسل المستر توماس الى وزارة المستعمرات في الهند رسالة مرفقة ببرقية مندوب الحكومة الانجليزية وقنصلها في جدة فيما يختص بالموقف الناجم عن التطورات الجارية في الحجاز نتيجة لغزو الاخوان . وقد جاء في هذه الرسالة ما يلي :

« يرى وزير الدولة انه يجب اتخاذ خطوات معينة للمحافظة — بقدر الامكان — على حياة وممتلكات الرعايا الانجليز الموجودين في مكة ومدن الحجاز . ويخشى في الوقت نفسه ان يفسر قائد القوات الغازية (يقصد ابن سعود) الاتصال الذي يقترح المسنر بولارد اجراءه معه على انه دليل على الرعب في الحجاز ومن ثم يتجرأ فيقوم بهجوم مباشر على مكة .

وفي ظل الظروف الراهنة يبدو ان افضل سبيل هو توجيه تعليمات للسيد بولارد بضرورة ان يتخذ اي اتصال مع الزعيم النجدي شكل انذار ، لا ان يكون مجرد طلب . ولذلك اقترح في حالة موافقة وزير الدولة لشئون المستعمرات اللورد اوليفر — ان يتم ابلاغ السيد بولارد برقيا بأن الرسالة يجب ان تتضمن الى حد ما العبارات التالية ، رغم انه يمكن ان تترك له حرية التصرف والاختيار في الصياغة .

أولا : ينذر ابن سعود بموجب هذه الوثيقة بأن هناك مقيمين في مدن الحجاز من الرعايا البريطانيين المسلمين وبخاصة مواطنون من الهند .

ثانيا : حكومة صاحب الجلالة تراقب تطور القتال ببعض القلق ، وهي ترى لزلا عليها أن تصر على انه في حالة اندلاع قتال داخل او حول المدن التي يعيش فيها الرعايا البريطانيون المشار اليهم فان كل الاجراءات الاحتياطية ستتخذ لحماية ارواحهم وممتلكاتهم .

ثالثا : بغية التأخير في حالة الطوارئ ، يقترح ايضا ان يخول السيد بولارد ، اذا لم يتمكن من الحصول على تعاون فوري من زملائه الفرنسيين والهولنديين ، بالعمل وحده وارسال رسالة الى الزعيم الوهابي فيما يتعلق بالرعايا البريطانيين في الحجاز » . (٣١)

وكذلك ارسلت وزارة الخارجية الانجليزية الى المقيم السياسي في بوشهر،

تأمره بأن يبلغ الرسالة التالية الى ابن سعود :

« ان حكومة صاحب الجلالة الملك جورج ، قد نمت الى علمها ان الطائف قد احتلت من قبل بعض الاعراب الذين يصفون انفسهم بالوهابيين ، والذين جاءوا من خارج الحجاز ، ويقال انهم يتقدمون الان للاستيلاء على مكة ، وتدل التقارير على انهم قاموا بقتل بعض رعايا بريطانيا في الطائف . وان حكومة صاحب الجلالة ليست واثقة مما اذا كان ابن سعود يعتبر شريكا بطريقة ما لهؤلاء الاعراب ولكنها مع ذلك تعتقد ان من الضروري تذكيره بالمادة رقم (٥) من المعاهدة المبرمة بينها وبينه . (٣٢) وان تطلب منه تأكيدا بتأمين الحجاج من رعايا بريطانيا وكذلك المقيمين بالحجاز ضد أي عدوان يتعرضون له من قبل رجال القبائل الذين يدينون له بالولاء . وانها تعلق الاهمية البالغة على حرية العبادة في الاماكن المقدسة ، والتي يقوم بها الحجاج البريطانيون ، وانها لواتقة من انه سوف لا يسمح لاحد من اتباعه بأن يقوم بعمل مناف للحرية الدينية » . (٣٣)

ولقد استلم السلطان ابن سعود رسالة الحكومة البريطانية ، وعلى الفور أرسل الرد عن طريق المقيم السياسي يشرح فيها موقفه تجاه الحكومة البريطانية ، وأيضا تجاه رعاياها من المسلمين ، وبأنه مازال متمسكا بالتزاماته طبقا للاتفاقيات التي جرت بينه وبين الحكومة البريطانية ، وأنه يضمن حرية طرق الحج وتأمينها أمام جميع الرعايا البريطانيين الذين يرغبون في زيارة الديار المقدسة ، وأنه متمسك بحماية جميع الحجاج وبصفة خاصة رعايا الحكومة البريطانية من أي تدخل أو استفزاز يقوم به احد من رعاياه . وكذلك تعهد بالحفاظ على سلامة ارواحهم وممتلكاتهم سواء أكانوا من المقيمين في مكة او من الحجاج .

وقد شرح الاسباب الثلاثة التي اضطرت له لفرض السلام في المنطقة :

١ — لأنه اعتبر ان الاتفاقية المرتبطة بذلك قد نشأت على اسس دينية يملها الشرف .

٢ — انه وافق على هذه الاتفاقية حين وقع عليها رسميا .

٣ — رغبته في تحقيق آمال ورغبات الحكومة البريطانية والتي ستجده دائما مستعدا لاتباع ما تنصحه به وما تشير عليه بأدائه . (٣٤)

ومن الواضح ان رسالة ابن سعود للحكومة البريطانية تدل على انه كان لايزال ينشد رضى الحكومة البريطانية ، ويشيد بأواصر الصداقة بينهما وأنه

على استعداد ليحمي رعاياها من اتباعه ، وانه سوف يؤمنهم على ارواحهم وممتلكاتهم . وفي الوقت نفسه نجده يندد بالسياسة التي كان يتبعها الحسين في الحجاز ضد اتباعه ومنعه لهم من تأدية فريضة الحج مما اثار حفيظتهم على الحسين فطالبوا بغزو الحجاز وطرد الحسين وابناؤه منه والتخلص من الاسرة الهاشمية وفتح ابواب الحجاز لكل المسلمين عامة واهل نجد خاصة .

اما الحكومة البريطانية فكانت مهتمة بالوضع الجديد الذي طرا على منطقة شبه الجزيرة العربية وخاصة بعد احتلال السلطان ابن سعود للطائف والمناطق المجاورة لها . لهذا ارسل وزير الدولة رسالة الى القنصل الانجليزي في جدة حول هذا الموضوع ، موضوع التكيف المزعوم لسياسة الحكومة الانجليزية بخصوص احداث الصراع الناشب من اجل السيطرة على الاماكن الاسلامية المقدسة والاتفاق على الصيغة المقترحة من جانب وزارة الخارجية . اما وزير الخارجية نفسه فتد تمسك بشدة بوجهة نظره الاساسية (وهي عدم التدخل في الشؤون الدينية) .

وليس من الواضح — اذن — دور ابن سعود في الاعمال التي قام بها اتباعه في الطائف . وحتى لو اتضحت مسؤوليته بشأنها فلم يكن الانذار الموجه من جانب الحكومة البريطانية ليجدي معه ما لم يكونوا جميعا هناك على استعداد لقبول هذا الانذار وتنفيذ ما جاء به . ومن رأي وزير الدولة وبصرف النظر عما اذا كانت الحكومة البريطانية سوف تضطر تحت اي ظرف من الظروف للاستخدام بابن سعود ، سواء كان ذلك بطريقة مباشرة او غير مباشرة دفاعا عن الاماكن المقدسة ، فان موضع العدوان على الحدود الممتدة في شبه الجزيرة العربية والتي تقع على عاتق الحكومة الانجليزية مسؤولية صيانتها والدفاع عنها بمقتضى قرارات عصبة الامم فانها مع الشروط المقترحة والنصوص الواردة في الاتفاق وحل السياسة التي يجب اتباعها هناك . (٣٥)

وواضح من هذه الرسالة ، ما يلي :

١ — ترى الحكومة البريطانية ضرورة التدخل لفض النزاع القائم بين الاطراف المتنازعة في شبه الجزيرة .

٢ — يرى وزير الدولة عدم التدخل هذا ، على اعتبار ان النزاع على الاماكن المقدسة مسألة دينية حساسة .

٣ — يذهب وزير الدولة الى ان التدخل يمكن ان يحدث اذا وقع نزاع على الحدود ، وذلك تمشيا مع قرارات عصبة الامم .

اما موقف الحسين فقد تحول من سيء الى اسوأ فقد تركه جميع اصدقائه
وهربوا الى جدة خوفا من الهجوم الوهابي على مكة . وكذلك هاجر معظم سكان
مكة الى جدة والمناطق المجاورة لها .

وعندما رأى الحسين ان معظم اعوانه واصدقائه قد تخلوا عنه طلب من
الحكومة البريطانية من جديد ان تساعد وتحميه من الوهابيين على حسب الوعود
التي قطعتها له اثناء الحرب « بأن تتدخل في حالة وقوع أي هجوم خارجي
عليه » . ولكن الحكومة البريطانية خذلتة وذلك بسبب مشاكله الكثيرة ومطالبه
التي لا تنتهي ، وفي الوقت نفسه أصبح عنيدا لا يسمع كلمتها ولا يقنع بما تبديه
له من نصح وارشاد . فقد وجهت الحكومة البريطانية الى قنصلها في جدة
مستر بولارد برقية تطلب فيها منه أن يوضح للملك حسين ان الحكومة الانجليزية
لم تحد قط عن اتباع سياستها الخاصة بالمساهمة بكل الوسائل الممكنة في سبيل
فرض السلام وقيام العلاقات الطيبة بين مختلف حكام شبه الجزيرة العربية ،
وفي الوقت نفسه فانها تتمسك باتباع سياستها التقليدية ، الخاصة بعدم التدخل
في الشؤون الدينية ، وانها لا ترغب في ان تتدخل في أي نزاع ينشب بين الحكام
المستقلين بشبه الجزيرة العربية حول الاستيلاء على الاماكن المقدسة ، وانها
تميل الى بذل جهودها لمحاولة ضمان ارواح رعاياها المسلمين وغيرهم من
المسلمين المتمتعين بالحماية البريطانية في الحجاز . واذا كانت الاطراف المعنية
راغبة في أن يبذل القنصل بولارد مساعيه في وضع حد للخلاف بينها بالوسائل
السلمية فان الحكومة الانجليزية ستكون حينئذ على استعداد للقيام بمثل هذا
العمل الذي حاولت القيام به ايضا في شتاء ١٩٢٣ ، عندما انعقد مؤتمر الكويت
الفاشل والذي يرجع فشله الى تباطؤ الشريف حسين في ارسال مندوب عنه
لحضور هذا المؤتمر . (٣٦)

وامام هذه البرقية يجد المؤرخ نفسه مواجهها بشاهد جديد ، يكشف عن
عنصر « التدبير والقصد » في السياسة البريطانية ، وان كان دون هذا (التدبير)
مجموعة من الادلة الملموسة في سياسة الحسين وعمله ، تكون في الواجهة
البارزة ، لتحول بينه وبين الظهور . وبتعبير اخر تقول هذه البرقية ان الحسين
قد تمادى في مخالفاته حتى جعل من العسير على الحكومة البريطانية ان تقف
بجانبه تؤازره :

فقد رفض مشروع اتفاق بينه وبين بريطانيا ...

ثم رفض الاعتراف بفتح ابن سعود لمنطقة جبل شمر ..

ثم انكر فرض الانتداب البريطاني على فلسطين ..

ثم انه لم يفلح في ان يكون الملك المحبوب المهاب في وقت واحد . فقد ارهق الحجاج بالضرائب . ولم يحسن الهيمنة على الامن ، فانتشر قطاع الطرق في الحجاز لسلب الحجاج ونهبهم .

اسباب كلها معقولة ومقبولة لتخذل بريطانيا الحسين . ولكنها — اي هذه الاسباب — تكاد تنطق بالسبب الحقيقي الذي يحرك السياسة البريطانية ، وان كانت كل هذه الاسباب قد وضعت لتكون ستارا يخفيه .

ان جهاز الرصد الحساس ، بل المذهل الحساسة ، لدى الحكومة البريطانية ، قد كشف لمخططي سياستها عن نجم صاعد ، اشارت كل الحسابات الى انه لم يطلع لئافل ، ولم يشرق ليغرب ، ولم يصعد لينزل ، ذلك هو نجم ابن سعود ، فارادت — كما وضع ويتضح — الا تقطع معه الخيوط ، لتمسك بخيط واه تشير كل الادلة الى انه انقطاع لا محالة .

يضاف الى ذلك ان كسب ابن سعود بشكل او بآخر الى جانب السياسة البريطانية ، سوف يوفر على بريطانيا — لو تم — كثيرا من الجهود ، ويتضح ذلك من نظرة موسعة الى الطموح الشديد الذي ينبعث منه ابن سعود ، في الهيمنة والسيطرة ، مما سبب له مشاكل حدودية مع اكثر جيرانه ان لم نقل جميعهم : جيرانه في الخليج ، والعراق ، والاردن — وهذه المناطق كلها لها ارتباط مع بريطانيا بصورة او باخرى ، كما ان لبريطانيا مصالح انية ومستقبلية ، في هذه المناطق ، فهي تعلم سلفا انها متدخلة لا محالة .

نقول ان العملية الحسابية البسيطة في موازين السياسة البريطانية كانت تقضي لكل هذه الاسباب بعدم وجود « شروخ » في العلاقات السعودية البريطانية .

وعلى اية حال فقد رفضت الحكومة البريطانية طلب الحسين ، بعد ان اشارت على الطرفين بوجوب اتخاذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على ارواح وممتلكات الرعايا الانجليز المسلمين الذين يقيمون في الحجاز . ولقد اوضحت انها تتمسك بسياستها التقليدية الخاصة بعدم التدخل في الشؤون الدينية ، وانها ليست على استعداد للتورط في نزاع ينشب من اجل السيطرة على الاماكن الاسلامية المقدسة ، وان الحكومة البريطانية لن تكون مستعدة للتدخل الا اذا تقدم كلا الطرفين في وقت واحد بطلب الى أحد مراكزها الدبلوماسية في الخارج للمساعدة في حل خلافتهما بالوسائل السلمية .

وأيقن الحسين ان الحكومة البريطانية خذلتة ، وانه يجب عليه ان يتحمل

المسئولية وحده ازاء بلاده ، وخاصة بعد ان انتقلت حكومته واتباعه من مكة الى جدة الاكثر امانا وسلامة ، لان السعوديين كانوا يهددون مكة . وظل الحسين وولده علي في مكة مع ما بقي لديهما من قوات . أما السعوديون فقد شقوا طريقهم بحرص بالغ عبر الطرق المؤدية الى السهول . و في الوقت نفسه فان المقاومة كانت تبدو في ظل هذه الظروف ضربا من الجنون . كما ان شعب الحجاز قد تجنب العمل على انقاذ الموقف ، وبدا يفكر في تدبير مكيدة ، وكان الزعماء الحجازيون (نبلاء جدة واعيانها) ، هم الذين شجعوا الملك حسين على ان يبعث اليهم بولده علي ليطلعه على حقيقة الوضع .

وكان الشريف حسين على وشك ان يكتشف المؤامرة وعدم الاخلاص ، عندما ابدى رغبته شخصيا في التوجه اليهم بنفسه لدراسة المؤامرة التي بدت رائحتها تهب من قبل شاطئ البحر ولكنه ما لبث ان استسلم لاغراء الوجهاء فوافق على ايضاد ابنه علي الى هناك . ولم يكد الامر علي يصل الى جده حتى اتقى القبض عليه . وطلب منه وجهاء جدة ان يقبل العرش الذي يجب على ابيه ان يتنازل عنه . (٣٧)

ولقد اصر وجهاء جدة على قرارهم ، ولكنهم اتصلوا في النهاية بالملك حسين ليبلغوه بذلك برغم علمهم بأن ذلك قد يؤدي الى نشوب حرب اهلية في الحجاز . ولم يمنع اصرارهم من مشاهدة يوم من القلق البالغ استمر حتى بزوغ فجر اليوم التالي اي في الساعة الثالثة صباحا عندما حققوا اول انتصار لهم ، ولم تستطع كل كلمات الاطراء والاعجاب ان تصف شجاعتهم البطولية ازاء الكلمات الحائقة التي وجهها اليهم الملك حسين وهو على بعد يزيد على الخمسين ميلا عبر التلفون . (٣٨)

ولقد كان التصرف الاول الذي تم بعد ذلك هو محاولة امتلاك مكتب الهاتف وتخصيصه للخدمات الحكومية وحدها . اما التصرف الاخر فكان اتصالهم بالقصر الملكي في مكة ، والشعور بالراحة عندما حظوا باستجابة لاتصالهم الهاتفي . ولم تكون تلك الاستجابة مصدرها الملك شخصيا . ولكنها تمت عن طريق سكرتيره الخاص . ولقد انهار الاخير ، وشاء حظه العائر ان يكون الوحيد الذي بلغ الملك حسين رسالة زعماء جدة الخاصة بالتنازل عن العرش لصالح ولده علي ، وأن يقنع بلقب « ملك الحجاز » وحده ولقد وافق على ان يلتبس من الملك التحدث اليهم في التلفون . (٣٩)

اتصل الملك الحسين بجدة مستفسرا عن هذه الرسالة . فرد عليه نبلاء جدة بأن هذا قد تم بناء على رغبة شعب الحجاز ، وخاصة في هذه الظروف

المحفوفة بالمخاطر ضد البلد . وطلبوا منه ان يقدر الموقف السليم المائل في تنازله عن العرش ، وان شعب الحجاز يقسم على الولاء لولده علي باعتباره ملكا على الحجاز وحده .

ولكن الحسين رفض في البداية فكرة تولية ابنه علي عرش الحجاز ، فاقترح ان يتولى العرش علي باشا ابن عمه ، او سلطان تركيا المخلوع عبيد المجيد او أي شخص آخر يختاره شعب الحجاز غير الامير علي . (٤٠)

واستمرت المحادثة التلفونية بين الملك حسين وبين نبلاء جدة ، واتفق اخيرا على وجوب تنازل الملك حسين عن العرش ، بدون ان يعين من يخلفه ، وان يشغل نبلاء جدة واعيانها العرش الخالي بمن يرونه مناسباً . (٤١)

وقد بلغت انباء تنازل الملك حسين عن العرش للقناصل الاجانب كأمير واقع .

وفي ٣ من اكتوبر ١٩٢٤ ، تنازل الملك حسين عن العرش بعد ان تربع عليه لمدة ستة عشر عاما ، قضى الشطر الاخير منها ملكا مستقلا فعلا ، فأبحر من جدة الى العقبة ، ولقد اعلن في جدة ان اهل الحجاز قرروا المطالبة بانتهاء الحكم الهاشمي الذي يتولاه الملك حسين ، واقامة حكومة مؤقتة لحماية البلاد ، وان يعين الشعب بنفسه هذه الحكومة المؤقتة . وفضلا عن ذلك فانهم ابدوا استعدادهم لان ينفذوا رغبات العالم الاسلامي كله ، ولم تكن لهم رغبة في ان يكونوا في حالة حرب مع أي احد . (٤٢)

وفي اليوم التالي اجتمع نبلاء جدة واعيانها ليجتاروا ملكا يشغل عرش الحجاز ، وقد نادوا بالامير علي ملكا على الحجاز .

ولم يكن الامير علي يطمع في العرش الذي فرض عليه ضد رغبته وارادته ، فالعرش اصبح بالنسبة اليه مهادا من الشوك يجلس فوقه منذ البداية ، كما اصبح عليه الآن ان يواجه والده الملك حسين الذي لم يظهر أية رغبة في التخلي عن مكة ، بينما كان الامير علي على العكس لا يستطيع ان يحكم اكثر من جدة .

ولقد شكل الملك علي وزارة جديدة حين استلامه الحكم في الوقت الذي وجد نفسه فيه محاطا بالخطر المحدق به من قبل ابن سعود ، فأبرق الى لندن بواسطة القنصل البريطاني في جدة يطلب المساعدة وبإمداده بالطائرات والمال وخاصة السلاح لمواجهة عدوه . الا ان الانجليز رفضوا طلبه على اساس ان الخلاف القائم بينه وبين ابن سعود خلاف ديني وان هذا يخالف للسياسة

التقليدية التي تتبعها الحكومة البريطانية وهي عدم التدخل في الخلافات الدينية . (٤٣)

عندئذ خاب اهل الملك علي وشعر بأن بريطانيا بدأت تخذله ، فوجد من الافضل له هو ان يرسل الى ابن سعود برقية عن طريق البحرين يخبره بتغيير نظام الحكم في الحجاز ، وكذلك طلب منه وقف تقدم قواته ، وان يرسل وفدا للتفاوض من أجل السلام . (٤٤)

لكن ابن سعود فهم من برقية الملك علي ان الانجليز قد تخلوا عنه ، ورد عليه بما يلي : « لن القي السلاح حتى يخرج آخر هاشمي من الحجاز » . (٤٥) واصدر اوامره الى الاخوان بدخول مكة ، فكانت النتيجة ان انسحب الملك علي من مكة حتى يحيطها من تكرار ما سبق حدوثه في الطائف ، ولقد تراجع مع قواته في بادئ الامر الى بحرة في وادي فاطمة ، وهي في منتصف الطريق نحو الساحل ومنها الى جدة نفسها . وفي صباح يوم ١٣ من اكتوبر تقدمت الدوريات النجدية لتحسس طريقها نحو مكة ، فوجدت المدينة المقدسة خالية من القوات الدفاعية ، بينما وقف مختار مكة المكرمة والسلطات الادارية في انتظار القوات النجدية للترحيب بها وتقديم مفاتيح مكة المكرمة اليها . وفي اليوم التالي دخلت القوات النجدية الى مكة المكرمة محرمة بالعمرة ، ودخلت عاصمة الحجاز في حكم آل سعود . (٤٦)

واذا ما عدنا الى المجرى الطبيعي لسير الاحداث فاننا نجد ان ابن سعود بعد ان وصلته اخبار تنازل الشريف حسين عن العرش وتولي ابنه الملك علي الحكم ، وان الانجليز خذلوه . . قرر السير الى مكة بنفسه . ففي ٥ من اكتوبر ١٩٢٤ ، تأهب ابن سعود لمغادرة الرياض الى مكة فاجتمع بعلماء الدين ورؤساء القبائل حيث اخبرهم بأنه مسافر الى مكة ، لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم التي ارهقت اهلها . . « ان مكة للمسلمين كافة ، وسنجتمع هناك بوفود العالم الاسلامي فنتبادل وايهم الراي . . . وسيكون الحجاز مفتوحا لكل من يريد » (٤٧)

وكذلك ارسل قبل سفره الى مكة المكرمة الى الملوك والرؤساء المسلمين كتابا يقول فيه : « فقد استقبلت الطريق الى مكة غير باغ ولا آثم ، فليفضل الاخ العظيم بارسال من يمثله في مؤتمر مكة حبا لنشر السلام بين امم الاسلام » . (٤٨)

وبالفعل افتتح المؤتمر في الرياض في ٢٩ من اكتوبر برئاسة ابن سعود شخصيا وبحضور اكثر من ثلاثمئة من الوجهاء ، والممثلين المحليين من مختلف

المناطق الادارية ، واصدر السلطان ابن سعود اعلانا هاما لسياسته لا يخرج في مضمونه عما سبق ولكنه يؤكد على ما يلي : —

١ — قبل اشراف مكة الذين نفاهم الحسين دعوة عبد العزيز في العودة الى مكة وتسلم ممتلكاتهم .

٢ — اكد انه توصل الى اتفاق كامل مع القواد الذين اشتركوا في المعارك .

٣ — اعلن انه يرعى الحكومة المؤقتة بالحجاز عن طريق ارسال لجنة حاكمة يمثل فيها شرفاء مكة ووجهائها ، او يرأسها احد ابنائه . (٤٩)

٤ — كما اعلن اصراره على ان يجلو الملك علي عن الحجاز .

وبعد ان وافق المؤتمر على هذا الاعلان في الرياض ، نشر ابن سعود بيانا للعالم الاسلامي اعلن فيه رسميا انه قد احتل مكة وانه على وشك التقدم شخصيا الى المدينة المقدسة ، وطلب من اخوانه في الدين في كل انحاء العالم ان يرسلوا وفودا يتأجلونه في مكة لكي يقرروا ماسوف يكون عليه الحكم في المستقبل في الارض المقدسة .

الا ان دعوته لعقد المؤتمر باءت بالفشل اذ ان المصريين لم يؤيدوا اقتراحه (٥٠) وكذلك رفضت انقرة الدعوة رسميا ، كما ان العراق وسوريا وفلسطين وشيوخ الخليج رجوه ان يعفيهم من الحضور ولم توافق على الاقتراح الا لجنة الخلافة الهندية وحدها لانه كان من وحيها ومن صنعها . (٥١)

وفي اثناء تلك الفترة وصلت الى ابن سعود رسالة من قبل قواده في مكة يطلبون منه الاذن بمقابلة امين الريحاني ، وسيد طالب النقيب ، ومستتر فيلبي انبريطاني المعروف في الرياض ، للتوسط بينه وبين الملك علي ، ولكن ابن سعود ارسل ثلاث رسائل اليهم ، والرسائل الثلاث لاتكاد تختلف الا في قليل من الالفاظ التي تناسب المرسل اليه فقط ، اما المحتوى فيتناول ثلاث نقاط :

١ — الترحيب بالزيارة اذا كان الهدف منها شخصا .

٢ — بيان انه لانائدة من الزيارة اذا كان المقصود منها التوسط في المسألة الحجازية .

٣ — وان المسألة الحجازية اسلامية محضة ، يقع عبء حلها على جماعة المسلمين بعيدا عن المصالح الشخصية . « واذا كان الشريف علي يود حقيقة حقن

الدماء فعليه ان يتخلى عن جده ، اما اذا قبله العالم الاسلامي حاكما للحجاز
فمحله غير مجهول » . (٥٢)

وقد وافق ابن سعود على مقابلة السيد طالب بمكة حين يصلها ، واما
الريحاني فيحول دون دخوله مكة انه غير مسلم ، وكذلك مستر فيليبي ، وقد
كان ابن سعود على استعداد لان يلقاه خارج مكة في بحرة ، ولكن صدرت اليه
اوامر من حكومته تمنعه من ارتياد الاماكن الداخلية في شبه الجزيرة العربية. (٥٣)
وبعد ارسال هذه الرسائل استعد ابن سعود للسفر الى مكة ، وبالفعل
خرج اليها بعد ذلك من الرياض في نوفمبر ، حتى ادرك مشارف الحجاز الاولى .
ودامت رحلته اربعة وعشرين يوما ، كان سكان القرى والبدو يتجمعون خلالها
على جانبي الطريق لتحية السلطان عبد العزيز وتقديم الولاء له .

واجتاز ابن سعود في اليوم الخامس والعشرين من رحلته الجبال المحيطة
بمكة ودخل الى الوادي الذي يحتضن مكة . فترجل ابن سعود عند مدخل
الوادي واقام معسكره هناك لانه لا يريد ان يقال عنه يوما ما انه دخل مكة فاتحا ،
وانما يريد ان يقال عنه انه دخلها حاجا . (٥٤) وبالفعل دخل ابن سعود مكة
محرمًا مع حاشيته في اليوم الرابع من ديسمبر ، وخطب في اهالي مكة مؤكدا انه
يضمن كل الخير للحجاز واهله . (٥٥)

وقبل ان يصل ابن سعود الى مكة وصلته رسالة من القناصل الاجانب
في جدة يعلمونه بموقف دولهم الحيادي في النزاع بين نجد والحجاز (٥٦) ، فأرسل
اليهم ابن سعود خطابا ، وطلب منهم ثلاثة مطالب محددة ، تمثل الشروط التي
تجعله مسئولا مسؤولية كاملة عن حماية رعاياهم وهي :

١ — ان تختاروا لرعاياكم مكانا مناسباً اما خارج جدة او داخلها ، مع احاطتنا
علما بموقعه حتى نتمكن من ارسال بعض رجالنا لحراستهم وحمايتهم .

٢ — ان ترسلوهم اذا شئتم لمكة حيث يمكنهم ان يكونوا الى جوار البيت الحرام بعيدا
عن اخطار الحرب ، ونحن سنرحب بهم ونخصص لهم مكانا مناسباً
لايوائهم .

٣ — ونحن نلتزم منكم ارسال خطابنا المفقود الى شعب جدة حتى يحيط علما
بما نود اخبارهم به ونحن لا نتحمل مسؤولية ما قد يحدث خلاف ذلك (٥٧)

اما خطاب ابن سعود — الموجه الى شعب جدة فيقول « انتم بلا شك
تعلمون ان الجزء الاكبر من العالم الاسلامي قد اعلن بعدم رغبته في ان يحكم

الحجاز الحسين وابناؤه ، ولذلك فنحن الان تحدونا الرغبة في تحقيق السلام ووقف اراقة الدماء .. انتم ومالكم مصونون اذا ما اتبعتم الطريق الذي اختاره اهالي مكة . وبالنسبة لوجود الملك علي بينكم في الوقت الحاضر يجب طرده طبقا لرغبة العالم الاسلامي . وايضا ننصحكم بمغادرة جدة والاقامة في بعض الاماكن المحددة او بالتقدم نحو مكة طلبا لحماية ارواحكم وممتلكاتكم .. واذا خالفتكم هذه المطالب فاننا في حل من امركم وغير ملومين امام العالم الاسلامي . (٥٨)

ويظهر مما سلف ان ابن سعود كان شديد الحرص على ان يكسب رضا بريطانيا والعالم الاسلامي خشية ان يفسر العالم الاسلامي احتلاله للحجاز بأنه يود ان يتولى السلطة هناك ويصبح الحاكم المطاع بدل الحسين وابنائهم وهذا يكون مطعما سياسيا وليس دينيا . ولهذا وجه هذا النداء الى العالم الاسلامي عامة وسكان الحجاز خاصة ، وفيه اعلان زهده في الخلافة ، وان هدفه الوحيد هو اعلاء كلمة الله ، وصيانة حرمة المدينتين المقدستين ، وامن سكان المدينة المنورة ومكة المكرمة بالمحافظة على ارواحهم واموالهم على ان يترك مستقل الحجاز الى مؤتمر اسلامي يعقد لهذه الغاية ويشترك فيه جميع المسلمين . (٥٩)

وفي اوائل ديسمبر اي في ٢ من ديسمبر استلم ابن سعود رسالة من الهيئات القنصلية في جدة ردا على رسالته الاخيرة التي ارسلها لهم بتاريخ ٢١ من نوفمبر تقول فيها « نجد لزاما علينا ان نحيطكم علما بأن حقوقنا المشروعة الواجبة احترام الارواح وممتلكات رعايانا ، انما تتبع طبقا للقانون الدولي وبنوده المتعلقة بزمن الحرب ، ونحن ندعوكم باسم مختلف الحكومات الى ان تحترموا ارواح وممتلكات مواطنينا والا فنحن نحملكم مسؤولية اي شيء قد يحدث لهم ايا كان في اي وقت . اما بالنسبة للخطاب المرسل لشعب جدة فنحن نعجز عن تسليمه طبقا لما نلتزم به من حياد يمنعا من التدخل على اية صورة ، ومن ثم فنحن نعيده لكم » (٦٠) .

الا ان ابن سعود لم يهتم بارجاع الرسالة ، اذ نشرها رسميا في جريدة ام القرى الناطقة بلسانه ، وقراها اهالي جدة ، فقرر اشراف جدة ونبلاؤها ارسال رسالة انيه في ١٠ من ديسمبر . واقترحوا في ردهم هذا وجوب التقائه بمندوبين عنهم ، وذلك قبل ان يتطور الامر الى ابعد من ذلك .

وعلى اثر ذلك ارسل ابن سعود تعليماته واوامره الى قواده المنتشرين في الجهات التي يسيطرون عليها ، وكانت تلك الاوامر قاطعة وحازمة ، وتضمنت هذه التعليمات المواقف التي لا يتوقع حدوثها من جانب الوهابيين وداخل مكة نفسها ، وايضا الهدنة المفروضة في ذلك الوقت على اعمالهم الحربية تلك التي

مكنت الملك علي من اعادة تنظيم دفاعاته حول جدة . اما القوات المحلية فقد توقف استخدامها عمليا مما جعل الملك علي يلجأ الى اخيه الامير عبد الله حاكم امارة شرق الاردن ، وقد ارسل له اربعين الف ليرة ليصرفها في التجنيد وفي شراء المعدات الحربية من اوروبا خصوصا الطائرات والسيارات المصفحة ، وكذلك ساهم الشريف حسين بمساعدة مالية ، وفي نفس الوقت فرضت الحكومة الحجازية على التجار قرضا قيمته اثنا عشر الف ليرة . وكذلك نجح غالب باشا والي معان (٦١) في جمع اكبر عدد من المتطوعين لنصرة قضية الاشراف من الاردن وفلسطين والشام ، وكان من بينهم تحسين باشا واحد الضباط الاكفاء ويدعى نوراس باشا الذي شغل في الحال مع تحسين باشا منصبي القائد العام ، ورئيس الاركان ، ومن ثم اخذا ينظمان ما وقع تحت يديهما من موارد ورجال وكونا قوة تحمل اسم « سرية النصر » ووصلت اعدادها تباعا من العقبة ، كما تطوع ملاحون جويون من الروس والالمان بعد ان وعدهم الامير عبد الله بصرف رواتب عظيمة اذا اشرفوا على قيادة الطائرات التي وصلت حديثا الى الحجاز قادمة من بريطانيا .

ونتيجة لهذه التبرعات المالية اصدر الملك علي اوامره بشراء الاسلحة والذخيرة وبتدريب القوات تدريبا عسكريا قويا والبدء في اقامة الاستحكامات .

ولقد تمكن اهل جدة في خلال شهر من اقامة خط دفاعي محكم على هيئة نصف دائرة ويمتد مسافة اربعة اميال خارج المدينة ، وانتشرت فيه مواقع البنادق والمدافع التي احتلت مواقع ممتازة للغاية ، وكذلك شدد الملك على الحراسة على الخط الدفاعي ، وخاصة بعد ان اكتشف ان هناك اتصالات مريبة قام بها بعض نبلاء جدة وزعمائها مع الاخوان ، مما نتج عنه تصادم مباشر بين العناصر العسكرية والعناصر المدنية ، وظل يستفحل امره بالرغم من الحل السريع الذي وضع لانهاء تلك المشكلة في حينها ، اذ مثل النبلاء — الذين اتهموا بهذا العمل — امام محكمة عسكرية لمحاكمتهم وثبت تأمرهم وخيانتهم ، وصدرت الاحكام عليهم بالاعدام ، ولقد صادق الملك علي على الحكم الصادر عليهم بالاعدام ، ثم استخدم حقه الشرعي في اصدار عفو عام عنهم .

ومن ثم نشأت على اثر ذلك بعض المعارضة ، فهؤلاء المتآمرون من عليّة القوم وقادتهم ما هم الا متحدثون بلسان الاهالي ، وكانوا بذلك في حالة توازن مع جناح العسكريين الذين ينادون بأن السلام يجب ان يتم بشروطهم والا فالحرب حتى بالسلاح الابيض ، وكانت تتضارب آراء بين هذين الرايين حتى تم عزل الراي العسكري واصبح الجيش مصدر قلقا واضعاج داخل المدينة .

وبعد ان تأكد زعماء الحجاز (الحزب الوطني) من ان خالد بو لؤي لم

يحصل على صلاحيات للقيام باجراء المفاوضات من أجل تحقيق السلام اللهم الا على اساس الاستسلام الغير مشروط فقد اعتقدوا بأن وصول ابن سعود لمكة قد ينتج عنه التوصل الى حل معقول يعمل على الحفاظ على كل من استقلال الحجاز ومركز الملك على الشخصي ، وفي نفس الوقت اخذ هؤلاء الزعماء يعملون بصدق واخلاص على تجنب القيام بأية عمليات دعائية ضد الوهابيين ، خاصة وانهم كانوا شجعوا على عدم التدخل المؤثر في الشؤون الجارية ، وهكذا نجدهم يضعون مصلحة الحجاز نصب اعينهم ومن ثم ما حصلوا عليه من تأييد جميع الاطراف « الغير رسمية » التي كانت تعمل من أجل احلال السلام ، واطلق عليهم لقب « صناع السلام » (٦٢) الذين كان لوجودهم في جدة اثره في خلق الشعور بعدم الرضا في نفس القائد العام ، ولكن الملك نفسه كان واقعا تحت تأثير ونفوذ مستشاريه من العسكريين الذين صارت لهم مكانة خاصة بعد نجاحهم في عمل الخطوط الدفاعية .

وفي اثناء تلك الفترة وصلت الى جدة ثلاث رسائل اخرى من قبل ابن سعود الى المستر فيليبي ، والسيد طالب النقيب ، وامين الريحاني . وكانت الاخيرة هي اهمها حيث طالب ابن سعود من الريحاني ان يوافيه بوجهة نظره ، فكان رده الانغماس في شؤون الحجاز — ارضاء للعالم الاسلامي — لون من الحماسة .. ولكن ابن سعود لم يلبث ان بعث للريحاني ينقض هذا الراي حيث آثر ان يترك للسيف وضع نهاية للاحداث .

ووافق ومول هذه الرسالة في يناير ١٩٢٥ ، ان اطلقت مدافع الملك علي من جدة قذائفها على مجموعة من الفرسان ، وكان ذلك عملا طائشا لم يصب « غير قطيع من الاغنام » حيث كان ابن سعود — كما تذكر التقارير — في الهدى بقرب بحرة على طريق مكة — جدة .. ولكن حكومة الحجاز صورت الامر على انه انتصار كبير ، وحثت اهالي مكة — من ثم — على قطع علاقاتهم بالنجديين . (٦٣)

والمتتبع لمجموعة الاحداث المصاحبة لحصار جدة يمكن ان يلاحظ — اذا لم يفرق في التفاصيل — الملاحظات التالية :

١ — انه كان طويلا ، وذلك مقصود — حتى لا يورط ابن سعود قواته في هجوم لا يدرى احتمالات صده من جهة بريطانيا او ايطاليا فكان يريد ان يكون سقوط جدة تلقائيا .

٢ — ان ابن سعود آثر المناورة فقام بمجموعة من التحركات المقصود منها صرف

الانظار عن الصراع الرئيسي الذي كانت الانظار كلها متجهة اليه ، وهو الحجاز .. ومن ذلك الاستيلاء على وادي سرحان .. ويبدو ذلك واضحا من اللقاء الذي تم بين ابن سعود وكلايتون (٦٤) في بحرة .. وظن ابن سعود ان كلايتون جاء الى بحرة ليحمله على الجلاء عن الحجاز ، في حين كان المفاوض مهتما بتحقيق الجلاء عن وادي سرحان واستمرت المحادثات ستة ايام حاول كل منهما ان يسبر اغوار الآخر . (٦٥)

٣ — حرص ابن سعود طول الوقت على ان يجعل القيادة العليا بعيدة عن مركز الصراع تحسبا لتغيرات في مسار الاحداث تجعل واحدة من الدول الكبرى — وبخاصة من لها رعايا كثيرون — توجه الى قواته ضربة لها نتائج فادحة .

وبعد حركة الرابع من يناير ، حاولت حكومة الحجاز ان تستعيد المواني الجنوبية الثلاثة : لبت ورايع وقتنفذه (٦٦) حتى تضمن وصول امدادات شرق الاردن ، ولكن هذا الحصار باء بالفشل في النهاية لعدم كفاءة السفن الثلاث التي اعتمد عليها في صنع الحصار وهي : الطويل ، الرقمتين ، رضوى (٦٧) .

وكان اهم الاحداث .. غير الحربية .. التي كان لها اكبر الاثر على الحجاز ، نابعة من لجنة الخلافة الهندية ، اذ بعثت في ذلك الوقت برسالة الى حكومة الحجاز ، تدعو فيها اساسا الى انشاء حكومة جمهورية اسلامية بالحجاز تكون مستقلة تمام الاستقلال عن كل نفوذ اجنبي ، وتتمشى سياستها الخارجية مع رغبات العالم الاسلامي .. كما دعت هذه الرسالة الى عقد مؤتمر ينظم قيام هذه الحكومة ووضعت اللجنة شروطا مفصلة لعقد هذا المؤتمر ، جاءت في ستة بنود اهمها : ان يعقد في مكة ، والا تكون للشريف حسين وأولاده اية علاقة به ، وتوكل الدعوة له الى ابن سعود والامام يحيى امام اليمن (٦٨) ، على اعتبار انها اكبر زعيمين في الجزيرة العربية ، ولانهما لا يخضعان خضوعا مباشرا لاي نفوذ اجنبي .

وكانت هذه اللجنة فيما بعد — اكبر صوت مزعج لحكومة الحجاز ، فقد كتبت الى ابن سعود تسأله عما يذاع حول مذبحة الطائف ، فطلب مقابلتها لتوضيح الامر على حقيقته بعيدا عن الشائعات ، ولكن حكومة الحجاز منعت الوفد من التحرك .

اما عن الموقف الحربي في الحجاز في هذه الفترة ، فان اول ما يستلفت النظر هو حالة التنافر والتذمر التي عمت الجيش الحجازي .. فهو — اولا — يتكون من مجموعة متنافرة : منهم الاتراك والعرب ، ثم هؤلاء العرب منهم الدروز

والفلسطينيون ، العرب يضيقون بالترك وكبريائهم ، والأتراك ينظرون الى العرب باحتقار — والدروز فضلا عن وصولهم متأخرين — مشكوك في اخلاصهم؛ وجماعة الفلسطينيين اتوا طلبا للرواتب المجزية ، ولذلك ما كادت هذه الرواتب تقل حتى جاهرت طائفة منهم بعصيان الاوامر بل وهددوا قاداتهم .

يضاف الى ذلك ان كثيرا من الضباط العرب كانوا اكثر اهتماما بالمسائل السياسية من الشؤون الحربية مع ما اصاب المدفعية الحجازية من حالة قريبة من « العجز » عن صد الهجوم الليلي الذي كان يقوم به الاخوان .

وكان اكثر العوامل حسما هو العامل المالي ، اذ بدأت حكومة الحجاز تعتمد على القروض المالية ، بل اضطر الملك علي الى ان يرهن املاكه الخاصة في مصر لقاء قرض مقداره خمسة عشر الف جنيه . (٦٩)

وايا ما كان الامر فقد وصلت طلائع الاخوان الى حدود جدة في بداية شهر يناير ، وكما كان دحر القوات الحجازية في مقدورهم لو ارادوا ، ولكنهم اثروا — فيما يبدو — ان يدعوا للحصار ان يفعل فعله في الجيش الحجازي ، فيتساقط من تلقاء نفسه . . ومن أجل ذلك لم يقم الاخوان بأي هجوم كبير بل اكتفوا ببعض الهجمات المتفرقة التي تشغل الحجازيين ، وتدعروهم ، وتدعوهم الى مزيد من اطلاق النار بغية ان تنفذ ذخائرهم .

وبالفعل ، ومع طول الحصار ، زادت متاعب الجانب الحجازي ، على الرغم من الجهود المضنية التي حاول فيها الملك علي ان يرفو بعض التهتك في النسيج الحجازي . .

وكان جنده في حالة يرثى لها ، حتى ان اكثرهم فقدوا الاحذية والملابس ، فضلا عن كفاية الطعام ، وامتد الضعف الى البغال فمعجزت عن جر المؤن ، فضلا عن المدافع ، فاذا اضيف الى كل ذلك فقدان الباعث على القتال في انفس الجنود — تبين لنا الى اي حالة من الضعف والتفكك وصلت القوة الحجازية .

وحاول الملك علي ان يضمن — ولو الحد الأدنى — من طاعة الجند ، فسمى حتى حصل على عشرة الاف جنيه من الملك المخلوع حسين ، الذي قال انها اخر مرة يدفع فيها . . كما حاول الشريف شاكر ان يثير اهل ينبع على الاخوان ، عسى ان يفل ذلك من حصارهم لجدة ، ولكن هذا المسمى خاب ولم يستجب له اهل ينبع . (٧٠)

وفي نهاية فبراير ، اصدر ابن سعود بيانا في جريدة « ام القرى » يعلن فيه قدرته على احتلال جدة في الحال ، ولكنه مع ذلك لن يتمكن من فتحها للحج هذا العام ويطلب بناء على ذلك ان يأتي الحجاج عن طريق المواني التي تخضع له مثل رابغ وقتنفة والليث (٧١) . وبالفعل نجح هذا البيان ، واتى الحجاج عبر طرق عديدة ، على الرغم من احتلال جدة ، وبرغم الحصار البحري . . وكان لذلك اثره المالي الطيب في الجانب السعودي .

اما الملك علي ، فقد كان ضم معان والعقبة الى شرق الاردن ، على الرغم من انها كانا عبئا عليه . ذا اثار بالغة الخطورة ، اهمها ان المدينة فقدت اهم طريق للامدادات . فبدأت تميل الى الجانب السعودي . . وايضا لم تعد الامدادات الحربية تصل الى جدة من المدينة المنورة . . يضاف الى ذلك الاثر السيء الذي ساد الجند الفلسطينيين ، الذين كانوا يعتبرون معان هي الطريق الوحيد الذي يلجؤون اليه في حالة الهزيمة . . ومن ثم بات الملك علي على يقين من خسران قضيته بعد فقدان معان والعقبة ، وبعد الذي رآه من عجزه المالي وتفكك جيشه ، وبعد التفوق السعودي مالا وقوة وحماسة .

وفي اوائل اغسطس ١٩٢٥ ظهر نحو الف من الجنود الاخوان امام اسوار جدة ولكنهم لم يشنوا اي هجوم ويبدو انهم كانوا من الاحتياطي الذين لم يكلفوا بأية اعمال بعد ، بخلاف العشرة الاف مقاتل الذين يقومون بحصار المدينة المنورة ، ومع ذلك فلم تحدث سوى بعض المناوشات بين الجانبين . (٧٢)

وقد وصل « التحلل » داخل الجانب الحجازي مدى بعيدا ، اذ خرج الجند من خنادقهم ولم يعودوا يستجيبون لامر : بعد ان طال انقطاع رواتبهم ، بل وصلوا الى حد بيع الاسلحة والهجوم على مخازن الذخيرة والاستيلاء عليها ، وكان اخر ذلك ان لجأ فريق منهم الى الجانب السعودي .

وبعد موسم الحج ، وصلت القوات السعودية الى جدة بأعداد كبيرة ، وما كادت تذيع اخبار هذا الحصار ، حتى دب الرعب في الجند الحجازيين ، فاتفقوا على ان يتخلوا عن الدفاع عن المدينة ، لولا تدخل الشيوخ بطلب من الملك علي . . ولكن ذلك لم يدم ، فخرج جماعة الجند الفلسطينيين والسوريين ، واصروا على ان تدفع الحكومة رواتبهم بانتظام واعتصم جماعة منهم بالمسجد ، وبعد محادثات ومفاوضات وافقوا على مغادرة المسجد والذهاب للقصر الملكي ، حيث عوملوا بترحاب الى ان يحين موعد رحيلهم . (٧٣)

ولما تمادى خلف الوعد ، ولم يتلق هؤلاء الجنود رواتبهم فضلوا في اوائل

ديسمبر ان يلجأوا الى القنصل الانجليزي ليتدخل في الامر ، ولكنه استطاع تهدئتهم ووعدهم بأن يبذل أقصى ما يستطيع ماداموا يلجأون الى الحوار لا التمرد . (٧٤)

وفي هذه الفترة تسلم الملك علي برقية من عبد المجيد قائد القوات الحجازية في المدينة المنورة ، يذكر له عدم قدرته على المقاومة اكثر من ذلك ، لنقص المؤن وبدء التذمر بين قواته وأن الاهالي يرحلون عنها لاجئين للقوات النجدية في القرى المحيطة بالمدينة المنورة لينعموا بالامدادات التي تصلهم من الصحراء . (٧٥)

وفي يوم ٩ من ديسمبر سقطت المدينة المنورة بيد القوات النجدية ولحقت بها ينبع في ٢١ من ديسمبر .

وفي ١٣ من ديسمبر اتصل الملك علي بالقنصل الانجليزي المستر جوردن طالبا منه ان يقوم بدور الوسيط في موضوع استسلام جدة ، كما رجاه ايضا ان يعمل على الحصول على اذن له من حكومته باللجوء الى فلسطين او الاردن او العراق في حالة تسليم جدة الى ابن سعود . (٧٦)

« احب ان تتوسط حكومة صاحب الجلالة البريطانية في الامر وفي استلام البلد بطريقة هادئة وأمنة تضمن الراحة والسلام والامن لجميع الاهالي ، والموظفين المدنيين والعسكريين منهم ، وكذلك الاشراف والبدو ، وتسهيل سبل الانتقال لأولئك الذين يرغبون في الرحيل معنا من خاصتنا ، ومن الراغبين في العودة لوطانهم » (٧٧) ولقد كتب القنصل الانجليزي « مستر جوردن » الى حكومته بلندن يستأذنها في ذلك ، فأذنت له ، فأرسل الى ابن سعود رسالة في ١٦ من ديسمبر طالبا منه الاجتماع به في اقرب وقت ممكن لتسهيل عودة السلام بين الطرفين . (٧٨)

ومع شعور ابن سعود التام بعدم جدوى الوساطة ، اذ انه سوف يقوم بالتحرك الى بحرة ليوجه هجومه الى جدة وذلك تحت الحاح جنده وبدعوة من بعض الطوائف والاهالي الموجودين في جدة نفسها اولئك الذين وعدهم السلطان بتأييده ، مع كل ذلك ابدى ابن سعود موافقته على لقاء المستر جوردن صبيحة اليوم التالي .

وفي ١٧ من ديسمبر وصل المستر جوردن الى الزعامة مصطحبا احسان الله (٧٩) ليقوم بدور المترجم بينه وبين ابن سعود ، وبعد محادثات طويلة تم الاتفاق بين الطرفين على توقيع شروط السلم وفيها بالنظر الى تنازل الملك علي عن العرش ومغادرته الحجاز وتسليم جدة . تنص شروط السلم على :

١ — يضمن السلطان عبد العزيز السلامة الشخصية لجميع الموظفين المدنيين

والعسكريين وللأشراف ولجميع أهالي جدة ، وللعرب والمواطنين وللقبائل وعائلاتهم ، وكذلك سلامة ممتلكاتهم .

٢ — يتعهد الملك علي بأن يطلق في الحال سراح جميع أسرى الحرب المحتفظ بهم في جدة إذا كان هناك أسرى .

٣ — يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يصدر عفوا عاما عن كل هؤلاء المذكورين بعالیه .

٤ — يجب ان يستسلم كل الجنود والضباط في الحال للسلطان عبد العزيز مع جميع أسلحتهم وبنادقهم ومدافعهم : على ان تحفظ جميع المعدات الحربية سليمة لا يقوم جنود الملك علي بتدمير شيء منها ، او تكون تحت رعاية القنصل الانجليزي في جدة حتى يدخل السلطان جدة .

٥ — يتعهد السلطان عبد العزيز باتخاذ ما يلزم لتسريح كل الضباط والجنود الذين يرغبون في ترك الخدمة ، كما يتعهد بصرف النفقات الضرورية لترحيلهم لوطانهم .

٦ — يتعهد السلطان عبد العزيز بتوزيع مبلغ ٥ الاف جنيه ونسب متعادنة على جميع الضباط والجنود في جدة .

٧ — يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يبقى على جميع موظفي الحكومة المدنيين الكفاء في وظائفهم نيؤدوا واجباتهم بأمانة .

٨ — يتعهد السلطان عبد العزيز بمنح الملك علي كل الحق في ان يصطحب معه ممتلكاته الخصوصية بما فيها سيارته الخاصة .

٩ — يتعهد السلطان عبد العزيز بمنح اسرة الشريف الحسين كل ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز ماعدا الممتلكات التي يثبت انها غير مورثة شرعا او انها انتزعت من الاوقاف الخيرية باسم الحسين لنفسه ، وما عدا ايضا تلك التي تشمل المباني التي انشأها حسين ابا ان حكمه كملك على الحجاز .

١٠ — يتعهد الملك علي بترك الحجاز قبل عشية يوم الثلاثاء المقبل اي ٢٢ من ديسمبر .

١١ — يجب ان تنتقل ملكية البواخر التي في حوزة الحجاز وهي (الطويل ورحمانية ورشدي ورضوى) الى املاك السلطان عبد العزيز ، وفي نفس الوقت فان السلطان عند الضرورة سيسمح للباهرة رحمانية بأن يستخدمها الملك بغرض نقل الممتلكات الشخصية الخاصة به . وعلى المندوب البريطاني ان ينظم الاجراءات الخاصة باعادة هذه الباهرة بعد اداء مهمتها .

١٢ — يتعهد الملك علي وشعبه واهالي جدة بعدم قيامهم بالبيع او بالتبديد او بأية اعمال تخريبية اخرى لاية ممتلكات مثل المنشآت البحرية وغيرها .

١٣ — يتعهد السلطان عبد العزيز بمنح جميع المواطنين والضباط والجنود في ينبع كل الامتيازات السابقة وكل الحقوق .

١٤ — يتعهد السلطان عبد العزيز ايضا بمنح العفو العام لجميع سكان الحجاز .

١٥ — في حالة ما اذا قام الملك علي او رجاله بفسخ — او فشل في تنفيذ — اي من المواد السابق ذكرها بعاليه فان السلطان عبد العزيز سيعتبر نفسه غير مسئول من جانبه عن تنفيذ كل ما جاء في هذه الاتفاقية .

١٦ — على كلا الجانبين وهما السلطان عبد العزيز والملك علي ان يتخذا ما يلزم لوقف القتال طيلة المدة التي تجري فيها المحادثات بينهما . (٨٠)

وفي ١٨ من ديسمبر اجتمع المستر جوردن بالملك علي وقرا الاخير شروط الصلح بالتفصيل ، وابدى اعتراضه على شروط خصمه والتي تعتبر بحق افضل مما كان يحلم به من شروط بل افضل مما كان يطالب به . (٨١) ومع ذلك وافق عليها بامضائه ، ولكنه طلب من المستر جوردن بقاءها في طي الكتمان لمدة ٢٤ ساعة وان يخفيها عن اهالي جدة وعن باقي معاونيه لانه كان يخشى حدوث احتكاك بين جنوده ورعاياه .

ولقد كان الملك علي يخشى الحزب الوطني الذي يتزعمه صادق بيه والذي التف حوله عدد من الضباط الذين اقساموا على السيف ، مع ان الحزب الوطني في واقع الامر لم يكن من القوة بالشكل الذي كان يتوهمه الملك علي .

فأول ما نلاحظه ان بنود المعاهدة لم تبقي في طي الكتمان كما اراد الملك ، فانها كانت قد ذاعت صباح اليوم التالي ، وبالفعل ارسل الملك علي الى صادق بيه رئيس الحزب الوطني ، واخبره بأنه تسلم بعض الشروط من السلطان عبد العزيز . . والملاحظة الثانية تكمن في ان الملك علي ربما كان ما زال ينتظر ان تلعب الاحداث دورا قدريا يكون في صالحه ، فان صادق بيه قد حضر في ١٩ من ديسمبر الى مستر جوردن وبعد مناقشة استمرت نصف ساعة وافق صادق بيه على كل بنود الاتفاق ، وفي نفس اليوم وقع الملك علي شروط الانسحاب من الحجاز وقام بنشرها في صحيفة بريد الحجاز ، وكذلك وجه رسالة الى الممثلين الاجانب الموجودين في جدة ، كما زار القنصل الانجليزي الملك علي وطلب منه تشكيل الحكومة الانفصالية وان يطلب من البارجة كليمايس تسهيل تنفيذ بنود اتفاقيته مع ابن سعود .

وفي ٢٠ من ديسمبر تم رحيل الملك علي من جدة ، ووضع الجنود السلاح فلم يجر سوى قليل من الاحداث البسيطة .

وبهذا انتهت وساطة المستر جوردن بعد اللقاء القوات الحجازية بسلاحها وبعد استسلام رئيس الحكومة الانتقالية وقائد القوات المسلحة . ولقد شكر المستر جوردن ابن سعود لمعاونته وكرم معاملته ابان اجراء المحادثات معه ، واكد له ان الحكومة الانجليزية قد سمحت له بالتصرف كوسيط لرغبتها بوقف اراقة الدماء في الديار المقدسة ، وللمساعدة في بسط السلام ونشر الرخاء ولتحقيق سلامة الحج . (٨٢)

وفي صباح الاربعاء ٢٣ من ديسمبر دخل جدة السلطان عبد العزيز وسط قواته وهو يمتطي صهوة جواده على رأس هذه القوات ، واقيمت حفلة استقبال حضرها كل الممثلين الاجانب وعلية القوم في جدة فضلا عن اهلها .

ومنذ دخول السلطان لجدة قام بتثبيت جميع الموظفين المدنيين في اعمالهم التي كانوا يباشرونها من قبل ، ولم يحدث سوى بعض التغييرات المعينة بعد قليل من الوقت وخاصة في وظائف الجمارك والحجر الصحي .

وفي يوم ٨ من يناير ١٩٢٦ انتخب ابن سعود ملكا على الحجاز ، وراح يمارس سلطاته كملك الحجاز وسلطان نجد وتوابعها ، واقيم احتفال كبير بتقليده هذا المنصب رسميا في مكة المكرمة .

وبعد ، فماذا تريد هذه الصفحات ان تقول ؟

لقد حاولت ان ارصد الاحداث رسدا متتابعا ، اقرب الى التدقيق والتسجيل ، ولم الجأ للتحليل الا قليلا ، لان مسيرة الاحداث — في رأيي — ووضعها متسلسلة واضحة المعالم ، يجعل القارئ والباحث اقرب الى التصور ، وادنى الى المتابعة ، هذا اول شيء .

والامر الثاني . . وجدنا انفسنا امام فترة من فترات الحياة والتحول الشديد في الجزيرة العربية ، امام نزاعات عالمية شهدت الحرب الاولى ، وشهدت قمة التطويق الذي بدأ العالم الغربي يوجهه للعالم الاسلامي عموما والعرب خصوصا ، واول ذلك العمل على انهاء الخلافة العثمانية وتحطيمها الى الابد . . .

والامر الثالث هو مجموعة الاحداث المتشابهة في المنطقة كلها ، كأنها مصنوعة صنعا ، او ادوار متفق عليها :

نزاعات على الحدود بين ابن سعود والملك عبد الله ، وبين الكويت وابن سعود ، وبين البحرين وقطر ، وبين الادريسي والامام يحيى في عسير واليمن ... الخ .

كل هذه الاحداث التي نراها ونستطيع كدارسين ان نلتبس لها اسبابها الطبيعية ، غير اننا لا نستطيع ان نفصل الجانب العملي للسياسة البريطانية .

لقد كانت — كما قالت هذه الصفحات — تملك اجهزة للرصد والمتابعة في غاية البقظة والقوة ، بحيث لم تغفل منها فرصة واحدة ... وكانت حسابات بريطانيا دائما لا تخطئ مصالحها القريبة والبعيدة ، مع الاحتجاب دائما وراء شعارات انسانية :

تجنب اراقة الدماء ...

ضمان السلامة للرعايا .

وجوب اداء الشعائر الدينية بحرية وامان .

ابعاد الحجاز عن المنازعات الساخنة .

كلها اسباب رايناها على طول متابعة هذه الاحداث ، بل دعاوى لم تغفل بريطانيا تردها في كل لحظة تدخلت فيها ، او طلب اليها التدخل .

ولكن بريطانيا والحق يقال كانت في سياستها نحو ابن سعود بعيدة النظر الى حد كبير .. لقد وجدت رجلا ذا مزايا وطموحات لا تتوقف ، وكانت على علاقة قديمة بسواه من رجال المنطقة وحكامها ، واستطاعت على الرغم من ذلك ان تكسب جولة الحسابات في النهاية .

والاوضح من ذلك انها في ذات الوقت الذي تحاول ان تجد اسلوبا يربط ابن سعود بها من خلال تواجدها في الاحداث مشاركة ووصفا ، كانت تتخلى عن الشريف حسين شيئا بعد شيء .. لقد كان الشريف حسين رجلها الاثير حين خدم مصالحها الى ابعد حد خلال الحرب العالمية عندما وقف معها ضد تركيا .

ولكنه حين اعلن نفسه ملكا على العرب كان معتديا على مصالحها وذلك بسبب الاتفاق السري (اتفاق سايكس — بيكو) بينها وبين فرنسا على اقتسام المنطقة العربية ... فبدأت تتخلى عنه يوما بعد يوم ، وتوجه له مختلف الهمم ... وكان امامها ابن سعود بقوته الناهضة ، ونجمه الصاعد ، وكان ما كان مما حاولت هذه الصفحات ان تسجله .

هل يمكن لصانعي السياسة والمشتغلين بها في المنطقة العربية ان يجدوا
من خلال هذه الدراسة عبرة في العلاقات العالمية ؟

أرجو ذلك ...

الهوامش

- ١ - راجع حافظ وهبة - جزيرة العرب في القرن العشرين : ص ٢٠٥ .
- ٢ - راجع أحمد عبد الغفور عطار - صقر الجزيرة . ص ٣٦٢ .
- ٣ - راجع أحمد علي - آل سعود . ص ١٢٤ .
- ٤ - راجع لوريير ، دليل الخليج ج ٣ ص ١٧١٩ - ١٧٢٤ وأيضا التاييز : مقتطفات من جريدة التاييز بعددها الصادر في ٣٠ أكتوبر ١٩٢٤ .
- ٥ - GRAVES, PHILIP, LIFE OF SIR P. COX. P. IOLI
- ٦ - راجع : حافظ وهبة. جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٥٢
- ٧ - راجع بنوا ميشان - عبد العزيز آل سعود ص ١١٤
- ٨ - GOOCH & TEMPERLEY, Ud. 10. PART 2PP. 182 - 198
- ٩ - راجع : بنوا ميشان ، عبد العزيز ص ١٣١
- ١٠ - راجع : امين الريحاني ، نجد وملحقاتها ، ص ١٩٨ - ٢٠٠ وكذلك
MEMORIAL OF SAUDI ARABIA VOL. L. P 321
- ١١ - في هذه الفترة عين السير بيرسي كوكس مقيما سياسيا في بوشهر .
- ١٢ - راجع فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ٣٨١ ، وكذلك
- ١٣ - راجع فتوح الخترش : تاريخ العلاقات السياسية السعودية اليمنية . ص ٥٢
Iturewitz. Diplomacy in the Near & Middle East. Vol.2 1414 - 1956 P. 4
- ١٤ - كرك. موجز تاريخ الشرق الاوسط .
- ١٥ - فتوح الخترش : تاريخ العلاقات السياسية السعودية اليمنية . ص ٥٤ .
- ١٦ - راجع : جورج انطونيوس ، بقتلة العرب ٤٥٥ .
- ١٧ - فتوح الخترش : ص ٥٥ .
- ١٨ - المرجع السابق . ص ٥٥ - ٥٦ .
- ١٩ - جريدة ام القرى ، العدد ٩٧ السنة الثانية ، ٢٢ من اكتوبر ١٩٢٤
SURVEY, VOL. 1. 1925. P. 296
- ٢٠ -
- ٢١ - المرجع السابق

٢٢ - تحت الضغط البريطاني على ابن سعود . لمنع الاخير رعاياه هذه السنة ١٩٢٤ من تادية الحج . (المرجع السابق) .

٢٣ - المرجع السابق : ص ٧٩٢

٢٤ - امين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، المجلد الثاني ص ١٤٨

Survey. P. 297.

٢٥ -

٢٦ - المرجع السابق . ص ٢٩٨

٢٧ - امين سعيد : تاريخ الدولة السعودية .
المجلد الثاني ص ١٥٤

FO. 371/10013 (E7624/7624/91)

٢٨ - رسالة من الميجور بولارد الى وزارة الخارجية لندن - جدة في ٧ سبتمبر ١٩٢٤
IBID

٢٩ - المرجع السابق

٣٠ - من مستر اوليفنت وزير البحرية - لندن في ٩ سبتمبر ١٩٢٤
371/10013. (E7725/7624/91)

٣١ - من مستر توماس الى وزارة المستعمرات في الهند - لندن في ١١ سبتمبر ١٩٢٤
FO. 371/10019. (E7803/7624/91)

٣٢ - اتفاقية دارين ١٩١٦ التي عقدت بين ابن سعود وبين مندوب بريطانيا السمر برسي كوكس
٣٣ - من وزارة الخارجية بلندن الى المقيم السياسي في بوشهر - ١٣ من سبتمبر ١٩٢٤ (المرجع السابق) .

٣٤ - رسالة من السلطان ابن سعود الى المقيم السياسي في بوشهر - ٢٣ من سبتمبر ١٩٢٤
FO. 371/10016

٣٥ - من وكيل وزارة الخارجية الى المندوب الانجليزي السياسي في جدة - ٢٤ من سبتمبر ١٩١٤ .
لندن .

FO. 371/10014 (E 8205/4276/91)

٣٦ - من مستر ماكدونالد الى المستر بولارد . لندن ٢٨ سبتمبر ١٩٢٤

FO. 371/10014 (E 8267/7624/91) No. 35

٣٧ - من صحيفة النيولي تلغراف بعدها الصادر في ١٣ فبراير ١٩٢٥

٣٨ - المرجع السابق .

٣٩ - المرجع السابق .

- ٤٠ - المرجع السابق .
- ٤١ - المرجع السابق .
- Survey. Vol. 1 - 1925 PP 299 - 300
- ٤٢ -
- ٤٣ - بنوا ميثان - ص (١٧٢)
- Survey. P. 300.
- ٤٤ -
- ٤٥ - بنوا ميثان - ص (١٧٢)
- ٤٦ - فؤاد حمزة - قلب جزيرة العرب - ص (٣٩٣)
- ٤٧ - بنوا ميثان - ص (١٧٥)
- ٤٨ - فتوح الخترش - المرجع السابق ، ص ٥٨ - ٥٩
- Survey. Vol 1 - PP 303 - 304
- ٤٩ -
- ٥٠ - ذلك ما كان يطمح اليه الملك فؤاد من نقل الخلافة الى مصر بعد الغائها في ٣ مارس ١٩٢٤ ، وقد اتفق بالاجماع العالم الاسلامي على ان يعقد مؤتمر الخلافة في العاصمة المصرية ، وباقامة لجنة تنظيم للاشراف على هذا المؤتمر باسرع ما يمكن .
- ٥١ - اذ ان مشاعرها تمتلئ بالكراهية الشديدة لاسرة الشريف حسين لمالاتها للانجليز ضد الاتراك .
- ٥٢ - نصوص الرسائل الثلاث كاملة راجع : صلاح المختار . تاريخ المملكة العربية السعودية ص (٣٢٤) .
- ٥٣ - من القنصل بولارد الى السير اوستن تشمبرلين . جدة في ١١ ديسمبر ١٩٢٤ .
- Fo - 406/55. (E 100 - 10 - 91) Seecret N. 116. Confidential
- ٥٤ - بنوا ميثان ص (١٧٥)
- ٥٥ - من القنصل بولارد الى اوستن تشمبرلين - جدة في ١١ من ديسمبر ١٩٢٤
- Fo - 406/55 (E 100/10/91) No 20
- ٥٦ - امين الريحاني - نجد وملحقاتها. ص (٣٦٤)
- ٥٧ - خطاب موجه من السلطان ابن سعود الى السلطات القنصلية في جدة . الرياض - ٢١ من نوفمبر ١٩٢٤
- Fo 406/55 (E 100/10/91)
- ٥٨ - المرجع السابق ، ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ - الرياض ، من القنصل بولارد الى اوستن تشمبرلين
- ٥٩ - راجع صلاح المختار ص ٣٠٩ - ٣١٠ ج ٢
- Fo 405 - 55 (E 100/10/91) No 115
- ٦٠ -
- ٦١ - مقاطعة تقع في اقصى شمال الحجاز
- ٦٢ - يقصد بهم : السيد طالب النقيب : امين الريحاني ، ومستر فيليبي .
- ٦٣ - من القنصل بولارد الى مستر اوستن تشمبرلين . جدة في ٨ يناير ١٩٢٥

Fo 405/55 (E 628/10/91) No3

- ٦٤ — المندوب الانجليزي الذي فاوض ابن سعود في بحرة حول الانسحاب من الجوف في وادي سرحان.
٦٥ — بنوا ميثان — ص ١٨٢
٦٦ — بعد ان فتح ابن سعود مكة . . خرجت مجموعة من الفرسان النجدية لاحتلال تلك الموانسي حتى تجعل طريق مكة التجاري مفتوحا .
٦٧ — من مستر بولارد الى مستر اوستن تشمبرلين .
تقرير عن الفترة ما بين ٩ — ١٩ يناير ١٩٢٥ جدة

Fo. 405/55 (E 883/10/91) Enclosure. I/No. 32

- ٦٨ — المرجع السابق
٦٩ — تقرير عن الفترة من ١١ الى ٢٨ فبراير ١٩٢٥
من القنصل بولارد الى اوستن تشمبرلين

Fo 406/55 (E 1781/10191) No 17

- ٧٠ — المرجع السابق
٧١ — من القنصل بولارد الى السير اوستن تشمبرلين . جدة في ١١ مارس ١٩٢٥ . من الفترة ما بين
اول مارس الى ٢٥ مارس ١٩٢٥ .

Fo 406/55 (E 1922/10/91)

- ٧٢ — تقرير عن الفترة ما بين ٢٠ يوليو الى ١٠ اغسطس ١٩٢٥
Fo 405/56 (E 7053/10/91) No. 102

- ٧٣ — من القنصل جوردن الى مستر اوستن تشمبرلين . جدة في ٣٠ نوفمبر ١٩٢٥
Fo 406/56 (E 8082/10/91) No. 114.

- ٧٤ — تقرير عن الفترة الواقعة من ٢٨ نوفمبر الى ٣١ ديسمبر ١٩٢٥
Fo 406/57 (E 367/91) Con Fidentiah

- ٧٥ — تقرير عن الفترة من ٢٩ سبتمبر الى ٢٩ اكتوبر
Fo 406/56 (E 7053/10/91) No. 102

- ٧٦ — من القنصل جوردن الى مستر تشمبرلين . جدة في ٣٠ نوفمبر ١٩٢٥ .
Fo 406/56 (E 8082/10/91) No 114.

- ٧٧ — جدة في ١٤ ديسمبر ١٩٢٥ رسالة من الملك علي بن الحسين الى المندوب البريطاني .
Fo 406/57

- ٧٨ — صلاح الدين المختار . تاريخ المملكة العربية السعودية . ج ٤ ، ص ٣٥٨ .

٧٩ - حامل الرسالة وهو هندي الجنسية يعمل في دار القنصلية الانجليزية بجدة .

٨٠ - اتفاقية ١٧ من ديسمبر ١٩٢٥ .

(Fo, 406/57)

تمت بين ابن سعود والقنصل جوردن

٨١ - شروط الملك علسي :

لتجنب اراقة الدماء واحداث الفوضى داخل جدة ، وجد من الصواب باسم الانسانية ان يطلب من الحكومة الانجليزية ان تتدخل منفردة او بالاشتراك مع بعض او كل القوى التي توجد لها رعاية في الحجاز ، وعلى حسب ما تراه الحكومة الانجليزية ، وان تتخذ الخطوات الضرورية الكفيلة بتنفيذ النقاط التالية :

١ - قررت ان ارحل واغادر بلدي تجنباً لاراقة الدماء مع كنانة كافة الحقوق الخاصة بي وبلدي ، وانني ارغب في العيش مع عدد من خاصتي اما في بغداد او الاردن او فلسطين .

٢ - يجب اتخاذ الخطوات العاجلة لوقف استمرار الحرب بيننا وبين السلطان عبد العزيز لمدة تكفي لنقلي انا وحاجياتي ولنقل خاصتي وممتلكاتهم ولاعطائنا الوسائل الضرورية لهذا الانتعال .

٣ - على حكومة جلالة الملك ان تسهل وسائل النقل للقوات النظامية وللإشراف والبسودو الذين يرغبون في ترك الخدمة .

٤ - على السلطان عبد العزيز وجوب ضمان حماية ارواح وممتلكات جميع المواطنين في بلدي وكذلك جميع القوات النظامية وقوات البدو وغيرهم - كما عليه ايضا - ان يتفاضى عن جميع اخطائهم التي ارتكبوها في الماضي .

٥ - على السلطان عبد العزيز وجيشه عدم دخول جدة حتى ارحل منها .

٦ - لتسيير شئون البلد ولتجنب حدوث فوضى بداخلها تنظم حكومة وطنية محلية تعمل تحت اشراف الحكومة البريطانية الى ان تدخل القوات النجدية الى جدة .

٨٢ - المرجع السابق .

مصادر ومراجع البحث

اولا : المصادر والمراجع العربية :

١ - احمد عبد الغفور عطار . سقر الجزيرة (ثلاثة اجزاء) . القاهرة ، ١٩٤٦ .

٢ - احمد علي آل سعود . دار الصياد ، بيروت ، ١٩٥٧ .

٣ - امين الريحاني . تاريخ نجد الحديث وملحقاته . دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٤ .

٤ - امين السعيد . تاريخ الدولة السعودية .

٥ - بنوا ميثان . عبد العزيز آل سعود . ترجمة عبد الفتاح ياسين . دار الكاتب العربي ، بيروت .

- ٦ — جورج انطونيوس . بقطة العرب . ترجمة د. ناصر الدين الاسد ، د. احسان عباس .
دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٦ .
- ٧ — حافظ وهبه . جزيرة العرب في القرن العشرين . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،
١٩٦١ .
- ٨ — صلاح الدين المختار . تاريخ المملكة العربية السعودية . (جزءان) . منشورات دار
مكتبة الحياة ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٥٧ .
- ٩ — مؤاد حمزه . قلب الجزيرة العربية . مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، الطبعة الثانية ،
١٩٥٨ .
- ١٠ — كريك . موجز تاريخ الشرق الاوسط . لندن ، ١٩٦٢ .
- ١١ — لورييمر . دليل الخليج العربي . طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ،
امير دولة قطر .

ثانيا : الدوريات العربية :

- ١ — ام التري .
خلال الفترة من ١٩٢٢ — ١٩٢٥ .

ثالثا : وثائق ام تنشر

Unpublished Documents

- 1 — Public record office:-
1 — Eastern Affairs:-

- 1 — Fo. 406/55. January — June 1925.
2 — Fo. 406/56. July - December 1925 .
3 — Fo. 406/57. January - June 1926 .
II — Fo. 371:-
1 — 371/10013.
2 — 371/10014.
3 — 371/10016.

رابعا : وثائق منشورة

Published Documents:-

- 1 — Survey of Middle East Affairs. vol. 1,1925.
2 — Hurewitz Diplomacy in the Near and Middle East. vol. 11,1914 - 1956.
Pall Mail Press, London, 1969.
3 — Memorial of the Government of Saudi Arabia. vol. 1, 11,111,31, July 1955.
4 — Gooch and Temperley - vol. 10. Part 2.

خامسا : كتب اجنبية :

1. Graves, Philip:-

Life of Sir P. Cox. Hutchinson, London, 1941.

سادسا : رسائل غير مطبوعة

١ - فتوح الختروش . تاريخ العلاقات السياسية السعودية اليمنية ١٩٢٦ : ١٤٢٤ . رسالة
دكتورة .

* * *